حاتم سلامة

التشجيع يصنع المعجزات

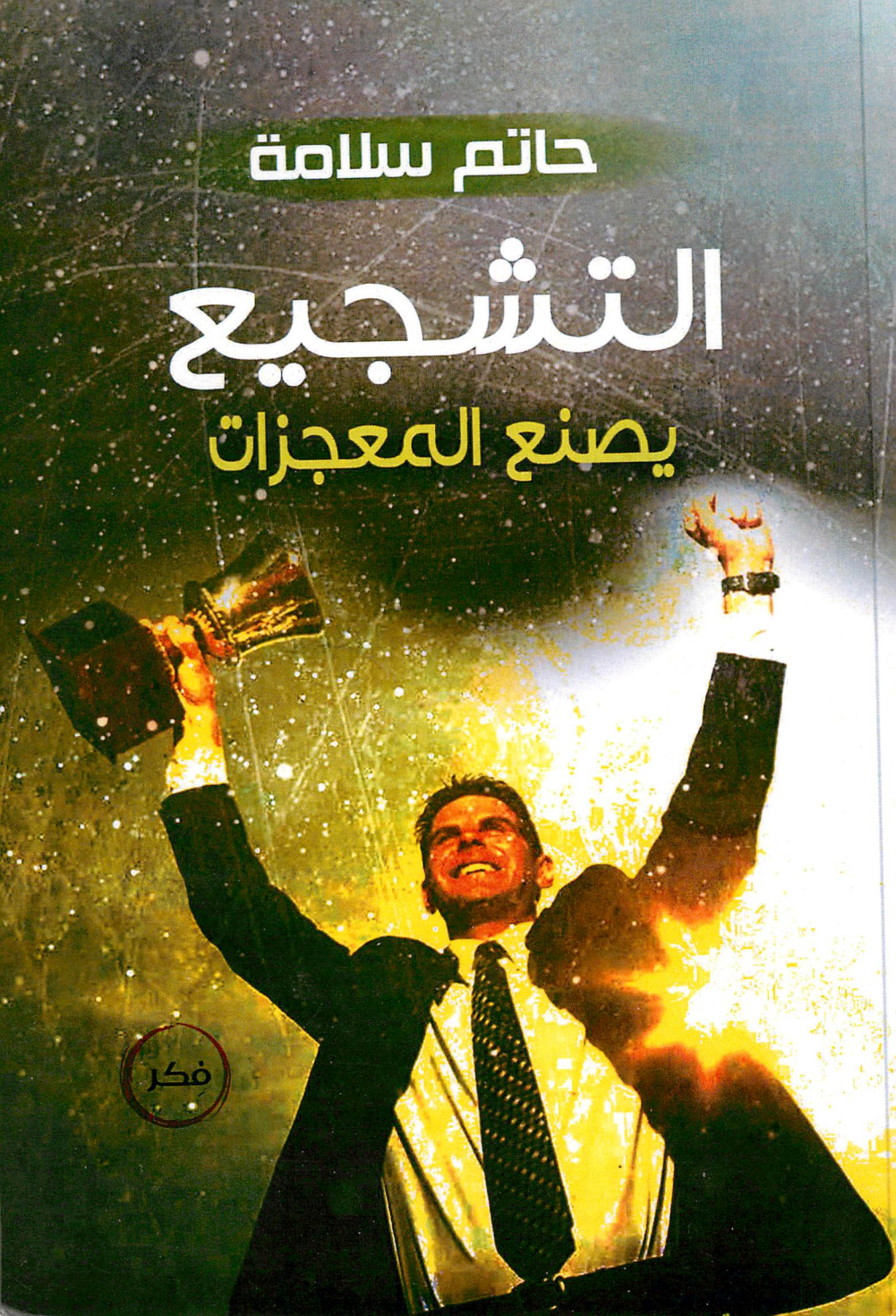

فكر

التشجيع يصنع المعجزات

فِكر

حاتم سلامة

الشجيع يصنع المعجزات

فكر

حاتم سلامة

إصدار: أكتوبر ٢٠١٧

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢١٧٧٧ / ٢٠١٧

منشورات دار لوتس للنشر الحر

أول شارع الملك فيصل - بجوار محطة مترو فيصل

الجيزة - مصر

كل ما ورد بهذا الكتاب هو مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيلاً له غير منقول، وجميع الحقوق محفوظة له.

الغلاف والإخراج الداخلي:

دار لوتس للنشر الحر

مشـــروع

النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر

أول دار نشر حـرة

يملكها كل كاتب

Mob: +2 01091985809 - +2 01272143509
WhatsApp: +2 01091985809
Site: www.Lotusfreepub.com
Mail: Lotusfreepub@gmail.com
F Account: www.facebook.com/lotusfreepub1
F Page: www.facebook.com/lotusfreepub

مقدمة

التشجيع والتحفيز ربما نظنها مجرد كلمات تلوكها الألسنة، وتنطق بها الأفواه، وتسعد بها الآذان، لكننا لو تأملنا آثارها في النفوس وقدرتها الهائلة على تغيير الواقع وإمكاناتها في تبديل الأحوال؛ لعرفنا أنها الطريقة المثلى والعلاج السحري للكثير من أزمات الإنسان حينما يُصاب بالفشل والتراجل والسقوط والإحباط.

إنها كلمات قد تقلب الموازين فتحول الهزيمة إلى نصر والفشل إلى نجاح، والتأخر إلى تقدم، لو أننا آمنا بها ووفرنا لها أسبابها واعتمدناها منهجًا في بناء الأجيال والقامات، كل هذا علمناه واستلهمناه من تجارب الحياة التي قضت بذلك، وصنعت هذه التحولات الرهيبة في حياة كثير من البشر.

إن عددًا ضخمًا من العباقرة والعظماء والمفكرين والعلماء عبر مسيرة الدنيا، ليقصون علينا من أحداث نشأتهم ويصورون لنا، كيف كان لكلمات التشجيع أثرها البالغ وحظها الكبير فيما

وصلوا إليه من عبقرية وتميز؟! ومن ثم فهُم يوصون بها ويؤكدون عليها ويدعون مجتمعاتهم أن تؤمن بها وتجربها، لأن هناك كثير من المواهب والقدرات كامنة مخفية في النفس، لا تستطيع أن تظهر للدنيا أويقفز ماردها إلى واقع الحياة إلا بكلمات التشجيع، وكثير من التائهين الذين لا يعرفون لأنفسهم مصيرًا ولا غاية لم يرتسم طريقهم وتظهر لهم ملامحه إلا حينما وجدوا من يحفزهم ؛ ويغرس في نفوسهم معنى الأمل، ويوجههم إلى ما كانوا عنه غافلين.

إننا في هذه السطور سنجول بين القديم والحديث نُقلب في صفحات العباقرة والعظماء والنابهين؛ لنرى كيف كان التشجيع في حياتهم قوة ووقودًا دفعهم لصدارة الدنيا وسيادة البشرية، حتى تصل قناعتنا النفسية بأهميته إلى درجة الايمان واليقين بأنه من أعظم السبل التي تحقق النجاح في الحياة.

إن هذا الكتاب ليس مرجعًا للتنمية البشرية أوسفرًا يعرض القواعد والخطوات التي تصنع المعجزات باستخدام التشجيع والتحفيز قدر ما هو سياحة في عالم الأدب والتاريخ والأخبار التي تؤنس النفس، وتبهر العقول، وتخلق في العزائم قوة وطاقة، وتولد فيها حماسًا وطموحًا للانطلاق والتقدم للأمام.

إن ما تحويه هذه الصفحات وما تضمه في طياتها بإمكانه أن يؤهل نفس قارئها لصنع الكثير في حياته، لو أنه عايشها وتأملها وتفهم مراميها وحاول محاكاتها، وهذا لعمري أمثل الطرق إذا ما أردنا أن نكتب عن التشجيع، لنجني خطوات إيجابية بعيدًا عن صفحات فاترة بطيئة يقرأها صاحبها متبلد النفس بارد المشاعر.

حاتم إبراهيم سلامة

تعلموا بناء الإنسان

عجيبة هي بلادنا وأوساطنا لا تُلهم لا تشجع لا تدفع ولا تنصر لا تكفل لا تُعين، إنها تهدم وتهزم وتُفقر وتحطم وتُحبط.. وتزداد حيرة هذا العجب حينما نرى الأمم المادية أشعلت حياتها بلهيب الأمل، فتعلمت كيف تبني الحضارة حينما تعلمت كيف تبني الإنسان..ذلك الإنسان الذي يصنع المعجزات حينما يجد من يقف وراءه يُشجعه ويدفعه ويوفر له كل السبل لتنمية قدراته وتفعيل مواهبه وتخطي كل حواجز الفشل وألوانه ليصل إلى بر النجاح.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (إن أكثر المواهب تحتاج إلى تشجيع كي تشع وتنمو.. ورُب عبقريٍ كبا أول عمره ثم أسعفته الأيدي الحانية فنهض ومضى في طريقه ليتحول مع الأيام إلى قمة مرموقة.. إن العبقريات في أغلب الأحيان تبدأ نبتًا رقيقًا يمكن أن تدوسه قدم غليظة فتأتي عليه، ولكنه إذا وجد السُقيا

والرعاية نما وأزهر وأثمر، وليّت شعري ما قيمة الأمم إذا قتلت أنفس معادنها وتولى الرعاع وحدهم قيادها؟! وفي أي ميدان علمي واقتصادي أوعسكري أوسياسي يمكن أن تنجح؟) وينقل الغزالي عن الأستاذ (مصطفى أمين) قوله:(في بلاد الدنيا كلها عندما ينجح إنسان تنهال عليه الورود والرياحين أما في منطقة الشرق الأوسط، فإن فيها وباءً عربيًا اسمه وباء محاربة الناجحين والقضاء على النابغين وتحطيم المتفوقين، لا نكاد نسمع عن رجل ناجح حتى ننهال عليه بالطوب، وهذه طريقتنا في إطلاق المدافع لتحية الأبطال الفاتحين، فإذا لم يكن الرجل الناجح عند حُسن ظننا وانهار تحت وابل الطوب، أسرعنا نهدمه بالمعاول، فإذا رأينا رأسًا مرفوعًا طالبنا بقطعه، وإذا شاهدنا شركة ناجحة أبلغنا ضدها الرقابة الإدارية، فإذا أُلغيت الرقابة الإدارية استنجدنا بالنيابة الإدارية!

البعض منا يعتبر النجاح خيانة عُظمى يجب شنق مرتكبها المجرم الأثيم، أما الإنسان الفاشل فهو وحده يستحق احترامنا لولا أنه سرق لما نجح! لولا أنه اختلس لما اغتنى! لولا أنه خالف كل مبادئ الأخلاق لما تقدم كل الصفوف.. عقلية العبيد هذه يجب أن نقاومها في أنفسنا، ويجب أن نعتبر كل

كفاءة في بلادنا قلعة لابد أن نحميها من الاقتحام بالبلاغات الكاذبة ومن الشكاوى الوهمية ومن الاتهامات المزيفة.. أسمع عن كفايات في بلادي تحارب، وتقام العقبات في طريقها، كأن حزب الفاشلين يريد مطاردة كل كفاية والقضاء على كل عبقرية، وتحطيم كل نجاح، الفاشلون عادة جماعة من الفارغين الذين يستطيعون أن يتفرغوا ٢٤ ساعة لتدبير المكائد، لإعداد الخناجر التي يطعنون بها ظهور الناجحين المتفرغين لعملهم، والذين لا وقت عندهم للدسائس والمؤامرات،ووضع الخطط للخلاص من الكفايات!

أذكر يومًا انه صدر قرار بنقل (مهندس كبير) من شركة (كيما) إلى شركة أخرى بلا ذنب ولا جريرة سوى أن موظفًا كبيرًا لم يستلطفه! وحُرمت (كيما) من رئيس كُفء، ولم تلبث الأمم المتحدة أن اختارته خبيرًا بها ثم أصبح بعد ذلك وزيرًا للصناعة! وقد كان من الممكن أن يقضي القرار الخاطئ نتيجة الدسائس والمؤامرات على موظف كفء، وأعرف أن طبيبًا أنشأ مركزًا كبيرًا من أكبر مراكز العلاج في الشرق الأوسط، وأنعمت عليه الحكومة الفرنسية بوسام «اللجيون دونير»، وأقام له الوزير حفلة تكريم، وما كاد ينتهي الخطباء من إلقاء خطبهم

في تكريم الطبيب المحتفل به حتى تقدمت ضده البلاغات، وبدأت التحقيقات! ولولا أن المسكين نجح في عمله وتفوق فيه ونال وساماً من دولة أجنبية وأقيمت له حفلة تكريم لما انهالت ضده البلاغات.. واجبنا أن نحمي كل كفاية في بلادنا، وأن نحافظ عليها، وأن نعلم أن الكفاية لا تحتاج إلى المنصب؛ إنما المنصب هو الذي يحتاج إلى الكفاية؛ وأن كل الذين حاربهم الفشلون واضطروا أن يخرجوا من مناصبهم قرفًا، أوزهدًا أوضيقًا وجدوا خارج هذه المناصب مناصب أخرى تُدر عليهم أضعاف مرتباتهم، إننا نحتاج إلى كل كفء في بلادنا أكثر مما يحتاج هو إلينا، والذي يُحارب الأكفاء في بلادنا إنما يُحارب الوطن»[1] فالتقنيط والتيئيس ومحاولة هدم الموهبة ما هوفي حقيقته إلا مؤامرة لهدم الإنسان والمجتمع، وتعطيل عجلة الحياة والإضرار بالإنسانية، وإذا ابتليَّ وطن من الأوطان بهذه النماذج وهذه العقول فإن حياته مهددة بالزوال أوالفقر والجوع والحرمان ؛ لأن أسباب الحضارة وجدت من يقف في وجهها ويحطم طموحها.

يقول الدكتور (أحمد زويل): الغرب ليسوا عباقرة ونحن أغبياء

(١)الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية - محمد الغزالي.

ولكن الفرق بيننا وبينهم هوأنهم يساعدون ويدعمون الفاشل حتى ينجح،ونحن نحارب الناجح حتى يفشل! وقد استطاعت أمريكا أن تستقطب هذه العبقريات التي طردتها بلدانها ولم تكن تربة خصبة لتنموا فيها فكانوا وقودًا ودعمًا لأمريكا وتفوقها في مختلف الميادين بعدما وفرت لها التقدير المادي والأدبي.. لا تخلو الأمم من المقنطين المحبطين ولكنها تختلف بنسب وقد وجد كثير من العظماء في حياتهم من حاول هدمهم. يقول (إبراهام لينكولن): (لوحاولت قراءة رسائل الشتائم الموجهة لي لتعطلت عن العمل) ويقول بتهوفن: (عاهاتنا تساعدنا على النجاح).

ولكم أتعجب من العالم الغربي وسلوكه وإيمانه ببناء الإنسان واستخراج كوامن نفسه ودُرر إمكاناته حتى يخدم بها المجتمع.

لي صديق لم يكن يحمل إلا شهادة متواضعة فتيسر له السفر إلى ألمانيا فدرس وتعلم وتثقف وحصل على الشهادات بلا عائق مادي أو روتيني أومجتمعي.

إن هؤلاء القوم يؤمنون بالأمل ويؤمنون بالتحفيز ويؤمنون بالمحاولة ولا يعرفون معنى اليأس والفشل الذي يوقف الحياة،

وإنما يؤمنون به كمرحلة من مراحل الصعود والتقدم للأمام.. كثيرون ممن تركوا أوطانهم وهاجروا لتلك البلدان استطاعوا أن يكونوا عباقرة نجباء لأنهم وجدوا من يرعاهم ويحفزهم ويشجعهم ويقدم لهم كل السبل التي تبرز قدراتهم.

إن قصة (عبد الحميد شتا) ستظل وصمة عار لمجتمعاتنا.! إنها قصة تعكس لأي حد سحيق وصلنا إليه في قتل المواهب وتحطيم العبقريات وهدم القدرات، ففي عام (٢٠٠٣م) أقدم هذا الفتى على الانتحار بعد رفض قبوله في تعيينات وزارة الخارجية لأنه غير لائق اجتماعيًا لظروف والده في الفلاحة، ومن أعلى كوبري قصر النيل كانت النهاية المؤلمة لهذا الشاب الذي لم يتحمل قسوة المجتمع وقسوة الذين حرموه من حقه في أن يكون في مكانه الصحيح..

تخرج عبد الحميد من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وتوقع له أساتذته مستقبلًا باهرًا ينتظره، كما أنه كتب في عدد من المطبوعات كمجلة السياسة الدولية وله عدد من الأبحاث، وتقدم لاختبار التمثيل التجاري للحصول على وظيفة ملحق تجاري وينجح ويكون ترتيبه الأول، لكن كل المتقدمين نجحوا إلا واحد فقط هو«عبد الحميد» ٢٤ من أصل ٤٣ متقدم

ينجحون إلا «عبد الحميد» والسبب لأن والده فلاح بسيط، فلتسقط الموهبة.. وليسقط التفوق.. وليحيا الانتحار في مجتمع فاسد لا يؤمن ببناء الإنسان.!

• • •

الفشل طريق النجاح

ليس معنى أن يفشل الانسان أي ينتهي وننفض أيدينا منه ومن الرجاء فيه، إننا يجب أن نؤمن أن الفشل طريق النجاح وأنه بداية إيجابية لكل نابغة وعبقري! بل يجب أن نعتقد أنه مصدر لكثير من الخبرات والتجارب التي تنفعنا في أعمالنا في الحياة، ومن ثم لا نقابل كل فاشل إلا بمزيد من محاولات التحفيز والتشجيع حتى يتخطاه صاحبه لنتيجة أعظم محملة بالفهم والتجربة.

في عام ١٩٧٢م تخرج بتفوق مع مرتبة الشرف الأولى، كان محل إعجاب أغلب أعضاء هيئة التدريس في قسم علم النفس منذ عودته لأحضانه، كانوا يرون فيه عالما واعدًا لم يخذلهم، حصل على الماجستير ثم الدكتوراه بسرعة قياسية عام ١٩٧٥م من جامعة ستانفورد، وحصل لاحقا على خمس شهادات دكتوراه فخرية من جامعات عالمية، ونال ٢١ جائزة علمية

من عدة مراكز بحثية ومنظمات دولية، ونشر منذ عام ١٩٧٦ حتى اليوم نحو ٩٥٠ بحثًا علميًا وكتابًا في الإبداع، والذكاء العاطفي، وأنماط التفكير، والفلسفة النفسية، ولديه أكثر من ٥٠ بحثًا تحت الطبع، وتجاوز الدعم المادي الذي حصل عليه من المؤسسات البحثية أكثر ٢٠ مليون دولارًا أمريكيًا، ويعتقد (ستيرنبرج) ٦٢ عاماً، أن (اللكمة) التي وجهها له أستاذه، كانت أكبر دافع له لتحقيق هذه الإنجازات العلمية والثأر ممن وصفه بعدم الموهبة؛ ولوأنه استسلم لسقوطه المبكر، لما عرف التاريخ عالماً فذاً (كستيرنبرج).

إنها قصة نجاح كبيرة وإنجازات مبهرة تحكي عبقرية صاحبها إنه الأمريكي (روبرت ستيرنبرج) الذي نحكي قصته مع الفشل بعد أن عرضنا قيمته ونجاحه الكبير، دفعه عشقه لعلم النفس أن يلتحق بجامعة (ييل) الشهيرة ليحقق ذاته ويشبع نهمه، لكنه اصطدم بحصوله على درجة منخفضة في مبادئ علم النفس، وتعقدت الأمور بينه وبين أستاذه الذي أكد له أنه «لا يملك موهبة حقيقية»، بكى (ستيرنبرج) كثيراً، وغير تخصصه إلى الرياضيات لعله ينسى (علم النفس)، ويكتشف نفسه في ميدان آخر، لكن صوتاً في داخله، كان يُلح عليه

بالعودة إلى تخصصه الذي يعشقه ورد اعتباره من أستاذه، رضخ (روبرت) لعقله الباطن، وعاد لعشقه الأول بعد فصل دراسي مرير، درس مجددًا المادة الأولى التي حصل فيها على درجة (سي) أو(ج) كما في قاموسنا وكانت النتيجة الدرجة الكاملة، الدرجة الكاملة كانت هي نتيجة كل المواد التي أخذها ستيرنبرج في الجامعة لاحقًا.

يقول (تشرشل): «النجاح هو المُضيُّ من فشل إلى فشل دون أن يفت ذلك في عضدك»

ويقول (هنري فورد): «عندما يبدو أن كل شيء يعاندك ويعمل ضدك، تذكر أن الطائرة تُقلع عكس اتجاه الريح، لا معه»

ويُنسب لـ(أديسون): الفاشلون هم أناس لم يدركوا قربهم الشديد من تحقيق النجاح حين يأسوا من المحاولة»

ويقول الأمريكي (مايكل جوردان) لاعب كرة السلة الشهير: «لقد فشلت مرات ومرات ومرات متتالية، ولهذا نجحت!»

ويقول: (ابيجيل فان بيرن): «إذا أردت بلوغ مكان فوق الشمس، فعليك أن تتحمل بعض الخدوش والجروح الصغيرة»

ويقول (دينيس ويتلي): «في ظل صيحات المحبطين والمثبطين نرى هناك من يعد الفشل طريق النجاح ودرجة من درجات الصعود.!».

الممثل الأمريكي (جيري ساينفلد)، الذي حقق مسلسله الكوميدي (ساينفلد) نجاحًا تاريخيًا حول العالم خلال عرضه لمدة تسع سنوات ابتداء من عام ١٩٨٩ تعرض في بدايته لموقف كاد يُنهي حياته الكوميدية، فعندما صعد إلى المسرح لأول مرة لارتجال بعض (الاسكتشات) الكوميدية التي يحفظها عن ظهر قلب ويفضلها أصدقاؤه انتابته نوبة هلع قاتلة، جعلته يرتجف ويتصبب عرقًا بغزارة، مما دفع الجمهور إلى المطالبة بإنزاله من على المسرح في التو واللحظة أما أصدقاؤه فكانوا يؤمنون بموهبته وطالبوه بنسيان ما فات، والعمل على اعتلاء المسرح لتأكيد موهبته أمام الجمهور، تردد (جيري ساينفلد) كثيرًا، لكنه فعلها، صعد في اليوم التالي إلى المسرح نفسه، خلع وجوه الجمهور الذين لا يعرفهم واستبدلهم بوجوه أصدقائه في مخيلته، وحقق نجاحًا مُدويًا استمر حتى الفجر، لا بل إلى اليوم!

والملاكم الشهير (محمد علي كلاي) كان شابًا صغيرًا يعيش

في بلد تعُج بالعنصرية، وكان يحلم أن يكون بطل العالم في الملاكمة، في حين كان كثيرون يسخرون منه، وخاض تجربة الملاكمة، ودخل بعض المباريات وضُرب أكثر من مرة، ولكنه أعاد المحاولة مرات ومرات وخسر أكثر من مرة، واستطاع في النهاية أن ينتصر ويفوز، إلى أن وصل به الأمر أن تحدى «جورج فورمان» الذي كان الجميع يهابه، ويشاع عنه بأن ضربته كانت أقوى من ضربة حصان، كان محمد خائفًا من اللعب أمامه لكنه تحداه، وكانت العاقبة أن هُزم ودخل المستشفى، ونصحه الناس أن ينتهي عن اللعب ولا يمارسه مرة أخرى، لكنه أبى ذلك، واستطاع أن يلعب مرة ثانية، وقرر أن يواجه (فورمان) مرة أخرى، وتحقق له النصر عليه بسبب إصراره وإرادته ومثابرته.

وكان على الأمريكي (إدي أركارو) الصبر والتحمل لفترة طويلة، قبل أن يحقق أحلامه، وهو المولود في ١٩١٦م، اضطر لترك مقاعد الدراسة وسِنّه ١٤ عامًا ليعمل في اسطبلات الخيول، وبعدها بعام بدأ يعمل في مهنة «الجوكي» أو راكب ظهور خيول السباق وكان أول سباق خيول يخوضه في عام ١٩٣١م دون فوز، خاض (أركارو) ٢٥٠ سباقا متوالية على

مر ٧ شهور دون أن يفوز في سباق خيل واحد، وكذلك دون أن ييأس، واستمر على تفاؤله حتى جاء ١٤ يناير من عام ١٩٣٢م، اليوم الذي حقق أول فوز له في حياته، واستمر من نجاح إلى آخر حتى حُفر اسمه في صفحات التاريخ، كأفضل جوكي في التاريخ الأمريكي وربما العالم، محققًا أكثر من ٤ آلاف فوز في سباقات الخيول.

ويروي أحد الكتاب قصة نجاح بعد فشلٍ مُنِيَ به صاحبها، لكنه استطاع القيام من جديد ومواصلة طموحه: « فجأة خيم الظلام على وجه ابن زميلي، انقطعت ابتسامته التي كانت تضيء صدورنا، لم يعد يتكلم عن فريقه المفضل بحبور كما في السابق، بل لم يعد يتكلم إطلاقا، عندما سألت أباه عن سر اختفاء ابنه الذي نعرفه، أجاب وهويحاول أن يعثر على سيجارته: إن ابنه حصل على درجة متدنية في الرياضيات، والأسوأ من الدرجة حسب الأب أن ابنه عندما ذهب لمراجعة رئيس قسم الهندسة الميكانيكية ليستأنس برأيه خرج خائبًا، فقد نصحه أن يبحث عن تخصص آخر، ولعله يكون أديبًا، إن دراسة الهندسة الميكانيكية لم تكن مجرد حلم لابن زميلي بل كل شيء في حياته، فهويرى أنه مهندس منذ أن كان طالبًا

في المرحلة المتوسطة، لم يتبق كتاب باللغة العربية عن تخصصه لم يقتنه، صار التخصص يلاحقه في يقظته ومنامه، لكن لقاءه برئيس القسم أجهض مستقبله، توقف كل ما حوله في لحظات، حاول والداه أن يخرجاه من حالته المعنوية المتردية دون جدوى، أصر الابن أن يترك الجامعة، لم يعد يحتمل أن يشاهد أستاذ مادته ولا رئيس القسم مرة أخرى، أضرب عن الدراسة لمدة أربعة أشهر قبل أن يعود إليها أكثر إصرارًا وحماسًا للحصول على درجات مرتفعة، الأسبوع قبل الماضي احتفل ابن زميلي بتخرج ابنه رسمياً وحصوله على درجة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية، هنأت والده والفرحة تملأ صدره وصوته، وتذكرنا معًا المرارة التي تجرعها ابنه في البداية والتي كانت الشرارة وراء تفوقه ونجاحه في النهاية».

ويروى عن بعض حكماء المسلمين أنه قرأ كتابًا أكثر من ثلاث مرات فلم يفهمه، فيئس منه وتركه، فرأى خنفساء تتسلق جداراً وتقع، فعد عليها الوقوع فزاد على ثلاثين مرة ولم تيأس، حتى تمكنت بعد ذلك من تسلقه، والانتهاء إلى حيث أرادت فقال: لن أرضى أن تكون هذه الخنفسة أثبت مني وأقوى عزيمة، فرجع إلى الكتاب فقرأه حتى فهمه! إن الخنفسة

تحاكي في فعلها إصرار النملة التي تحمل الإرادة والتصميم، فألهمت يومًا ذلك القائد البطاش (تيمور لنك) الذي كان محبطًا حزينًا بعد هزيمته، حين رآها تصعد على صخرة ملساء ثم تسقط إلى أن نجحت بعد المحاولة السابعة عشرة، وجاء دوره فحاول مرة أخرى واستطاع أن يعيد حكم أجداده. وكما قيل: «إن الخلطة السرية لوجبة الفشل، هي أن تتوقف عن المحاولة بعد أول تعثر».

• • •

لا تقتلوا الأمل

قال (علي الجارم) رحمه الله: «الشجاع من يخلق من اليأس أملًا لأن اليأس فيه طعم الموت، ولأن الشجاعة معنى الحياة.»

كثيرون هم أولئك الذين يحبطون عزائمنا ويضعون القيود في مسيرتنا! إنهم يبذرون أشواك اليأس في طريقنا حتى تَضمر في نفوسنا أهدافنا وغايتنا.. إن الموهبة فيك كامنة، لكنك لا تراها، ولا يراها من حولك من المحبِطين المثبِطين، إنها تنتظر اللحظة المناسبة حتى تشب عن الطوق، وتُثبت ذاتها ووجودها، فكم من العبقريات والمواهب قتلها المثبِطُون المحبِطُون! والذين أفلتوا من غوائلهم، كان لهم صمود محمود، ولكن ماذا يضير هؤلاء لوأنهم ملأوا الدنيا تفاؤلاً وأملًا، لماذا يكسرون أرواح الناس، ويغرقونهم في اليأس والقنوط؟! ماذا يضير أحدهم لوأنه رسم بكلماته آمالًا للواعدين والمبتدئين، حتى يتجدد الشوق في نفوسهم للحياة مرة أخرى؟! « قل لأي طفل أوزوج أوموظف، إنه غبي أوأحمق بالنسبة لأي شيء، وأنه معدوم

المواهب، وأنه يفسد كل شيء يقوم به، إذا فعلت هذا، فقد دمرت لديه كل حافز للتقدم.

ولكن بدلاً من ذلك استخدم الطريقة العكسية، كن سخياً في تشجيعك واجعل الشيء الذي يفعله يبدو سهلًا، وانفث في روحه أن لديه حساسية خاصة، ومقدرة متميزة وأنه بالتدريب سوف تكبر موهبته إذا تعهدها بالرعاية وأنه سيتفوق»[1]، فالأمل والتشجيع قوة دافعة تشرح الصدر للعمل، و تخلق دواعي الكفاح من أجل الواجب، وتبعث النشاط في الروح والبدن، وتدفع الكسول إلى الجد، والمجد إلى المداومة على جده، والزيادة فيه تدفع المخفق إلى تكرار المحاولة حتى ينجح، وتحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه، إن الذي يدفع الزارع إلى الكدح والعرق أمله في الحصاد، والذي يغري التاجر، بالأسفار والمخاطر، أمله في الربح، والذي يبعث الطالب إلى الجد والمثابرة أمله في النجاح، والذي يحفز الجندي إلى الاستبسال أمله في النصر، والذي يهون على الشعب المستعبد تكاليف الجهاد أمله في التحرر، والذي يحبب إلى المريض الدواء المر، أمله في العافية، والذي يدعو المؤمن أن

(١) كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الآخرين – ديل كارينجي.

يخالف هواه ويُطيع ربه، أمله في رضوانه وجنته.

الأمل إذن هو إكسير الحياة، ودافع نشاطها، ومخفف ويلاتها، وباعث البهجة والسرور فيها، ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل! والأمل -قبل ذلك كله- شيء حلو المذاق، جميل المحيا في ذاته، تحقق أولم يتحقق، واستمع إلى الشاعر العاشق في قوله:

أماني من ليلى عذاب كأنما

سقتني بها ليلى على ظمأ بردا

مني إن تكن حقاً تكن أحسن المنى

وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وضد الأمل اليأس وهو انطفاء جذوة الأمل في الصدر، وانقطاع خيط الرجاء في القلب، فهو العقبة الكؤود والمعوق القاهر الذي يحطم في النفس بواعث العمل، ويوهي في الجسد دواعي القوة، ورحم الله من قال:

واليأس يحدث في أعضاء صاحبه

ضعفاً ويورث أهل العزم توهينا[1]

إن بعض العباقرة عاشوا في محيط لا يؤمن بهم، ولا يرى فيهم أي نفع أو فائدة للدنيا، حتى القريبون منهم كانوا يؤمنون بفشلهم ويرون تخلفهم، وقد يصارحونهم في وجوههم بأنهم فاشلون لا قيمة لهم ولا مكانة، لكن روحًا قوية في نفوس هؤلاء الملهمين، أفلتتهم من سهام التوهين إلى مصير كبير، أما المحبطِون فما عليهم إلا أن يتخلوا عن سوداويتهم، ويغمروا الدنيا حولهم بالتفاؤل والبِشر والتشجيع والتحفيز، فعقولهم لا تُحيط بالغيب، ولا تعرف كيف تسير حركة الزمن، وإلى أي جِهةٍ تسير؟ إنهم لا يدرون ما ستكشفه لنا الأوقات واللحظات القادمة!.

فالليالي من الزمان حبالى

مثقلات يلدن كل عجيبة

(١) الإيمان والحياة — د. يوسف القرضاوي بتصرف يسير.

ويطل علينا (بروس لي) بطل الكاراتيه الشهير الذي لم يكن بمنأى عن محاولات الإحباط والتعجيز، ففي صغره سألته المعلمة عن أمنيته التي يرجوها حينما يكبر، فقال بكل طموح وأمل: سأكون الأقوى في العالم، وسوف أحصل على أعلى أجر يأخذه ممثل في السينما، وكان (بروس لي) ضعيفاً نحيل الجسد، وهوما دعى المعلمة أن تسخر منه وتتهم أمانيه بأنها كلام فارغ وثرثرة وأوهام، واستطاعت هذه السخرية أن تملأ قلب (بروس لي) بالتحدي والإصرار، والرغبة القوية في أن يكون رمزاً للقوة، وحصل على أعلى أجر في تاريخ السينما يمكن أن يحصل عليه ممثل، وكان أول من قام بتمثيل أدوار الكاراتيه والكونغوفوأقوى رجل في فنون القتال! ونظر حوله فوجد أن هناك شيئًا مهمًا بقيَّ عليه أن يفعله، وهوأن يذهب إلى معلمته التي هزأت من طموحه في يوم من الأيام، ليخبرها أنه أصبح كما يريد مهما كانت التحديات!

إن الكلمات البسيطة المحملة بالأمل والتشجيع لا تكلفنا شيئًا، وقد تنفع المجتمع وتسعد بها الإنسانية كلها من حيث لا ندري، وكم من كلمات — مجرد كلمات- حولت كثيرين إلى مهرة ونوابغ، لأنها دعتهم بالتسهيل والتشجيع، وتجنبت

التحطيم والتعقيد، ويضرب لنا (ديل كارينجي) ذلك المثل عن لعبة (البريدج) ولاعبها الشهير (كولير ستون) وهو اسم مألوف أينما توجد هذه اللعبة، وقد ترجمت كتبه إلى العديد من اللغات، وبيعت منها ملايين النسخ، وقد ذكر لـ(كارينجي): «أنه لم يكن ليحترف تلك اللعبة لولا أن له امرأة أخبرته: أن لديه استعداداً خاصًا لها، فعندما حضر إلى أمريكا عام ١٩٢٢، حاول الحصول على وظيفة لتدريس الفلسفة وعلم الاجتماع فلم يفلح، وحاول بيع الفحم ففشل، وحاول بيع البُنّ ولكنه فشل أيضًا، ولم يخطر بباله في تلك الأيام أن يدرس البريدج، ولكنه كان يلعب الورق، وكان عنيدًا حتى أن أحدًا لم يكن يرضى بملاعبته، ثم تقابل مع واحدة من معلمات (البريدج)، وهي (جوزفين ديللون) فوقع في غرامها وتزوجها، وقد لاحظت كيف يكون مدققًا في ورقها وهي تلاعبه، فأقنعته بأنه عبقري في اللعب ثم ذكر «كارينجي» أن (كولير ستون) قال له: «إن هذا التشجيع وحده هو الذي دفعه إلى أن يستخدم لعبة البريدج ويجعل منها حرفة»[1]

• • •

(١) كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الآخرين- ديل كارينجي.

التشجيع يصنع المعجزات

هل تصدق أن التشجيع قد يصنع المعجزات؟! إن العقول الواعية هي التي تدرك مدى تأثيره في توجيه الحياة وصنع مستقبل مشرق للأجيال، وعجيبة هي النفس الإنسانية تُخفي بداخلها سيلًا مدرارًا من الطاقات والمواهب ولكنها تنتظر من يكتشف إبداعها، ويدق في جنباتها أجراس الحماسة، لينطلق موكب الإبداع هادرًا بإمكاناتها المبهرة.. إن التشجيع قوة دافعة تصنع المعجزات، وتخلق القدرات، مارسها الزعماء والمربون، فتفانى أتباعهم في العطاء والإنجاز، مارسها القادة في الحروب، فتحول جنودهم للهب عاصف يحرق الأعداء.. إن فداحة الأمم والمجتمعات يوم ترميها الأقدار بالمقنِّطِين المحبِطين المثبطين، الذين يزرعون الفشل والخيبة والتراجع في نفوس أفرادها، وينشرون سموم ألسنتهم التي تفت العزائم، وتحط الهمم، ولعمري لن يكون لهذه المجتمعات قيمة أوميزان، أوقدرة

أو إبداع، ما دام فيها أشباه هؤلاء، ينخرون في مستقبلها كما ينخر السرطان أجساد البشر! كم من قدرات مدفونة بين ضلوع أصحابها، مهملة مجهولة يحجب الغبار عنها ضوء الشمس، لم يكتشفها غير التشجيع والدفع للأمام، وكم من أناس أصابهم اليأس، وكادت أن تحطمهم صدمات الحياة، ولكنهم أُقيلوا من عثراتهم، ونهضوا من كبواتهم، حينما قيض الله في طريقهم من شحذ هِممهم، وكشف عن حقيقتها الخافية! بل إن كثيراً من عظماء التاريخ وزعمائه، لوقلَّبت في سيرهم، لوجدت أن عظمتهم ما كانت إلا نتاجًا للتشجيع والتحفيز، سواء من الأسرة أو الأصدقاء أو معلمي المدرسة، إن عبارات الإطراء والتقدير، لها فعل السحر في النفس الساكنة التي تتحول إلى مارد جبار، يحطم كل العوائق، ويزيل أمامه عقبات المستحيل.

يقول (ديل كارينجي): «إن الثناء يأتي بتأثير لا يقاوم يشبه المعجزات، تستطيع أن تغير الناس إذا عملت على إلهاب المشاعر الإنسانية لمن تتصل بهم، حتى تخرج الكنوز المدفونة التي يمتلكونها»[1]، وكم كان (حسن البنا) رحمه الله ذا قدرة فائقة على صنع المواهب، وتشجيع النوابغ وإيقاظ العبقريات،

(١) كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الآخرين - ديل كارينجي.

وكم كان مثيرًا حينما علمت أن هذا البحاثة الكبير، صاحب المؤلفات الغزيرة، والكتب الكثيرة الأستاذ (أنور الجندي)ثمرة من ثمار(حسن البنا) بتحفيزه وتشجيعه.! فمن كان يصدق أن تتحول حياة هذا الشاب، ليكون أقوى باحث إسلامي، وأشد الأقلام دفاعاً عن الإسلام وتراثه، والذي أثرى المكتبة العربية والإسلامية بأكثر من مائتي كتاب، في الأدب والفكر الإسلامي وقضايا التغريب والأصالة والدفاع عن هوية الأمة، وشخصيتها التاريخية وحضارتها ودينها!

لقد عاش للإسلام ينافح عنه ويدافع عن مبادئه، لم يتوانَ يوماً في الذود عن حياضه، وكشف زيف من يحاربونه، وإن تستروا بأستار تنطلي على كثير من الناس.. إن البداية كانت مجرد كلمات تشجيعية بثها فيه (حسن البنا) ليكشف الغبار عن هذه الموهبة الفذة، ليصير فيما بعد الكاتب والمفكر الكبير (أنور الجندي)!. فهو يروي أنه أول من شجعه على الكتابة المنتظمة، حينما خرج معه في رحلة الحج في الأربعينيات إذ طلب منه الأستاذ البنا أن يكتب خاطرة عن الحج، فتحير الجندي ولم يكن يعرف ما يكتب، وكان طلبًا جديدًا عليه، ولكنه خط بعض السطور عبر بها عن بعض الخواطر، وعندما

ألقاها أعجب بها «البنا» وامتدحه فيها، وقال له: «لماذا لا تستمر في الكتابة، إن لك قلمًا رشيقًا، ومن الممكن أن يكون من الأقلام القوية إذا مرنته على الكتابة، واستمر عليها»، وكان لكلام البنا تأثير كبير في قريحة الشاب «أنور الجندي»، حتى أنه من شدة تأثره به وامتنانه له، كان يضع صورة كبيرة له في غرفة مكتبه، ولما سُئل عن ذلك قال: «أحب أن أرى هذا الرجل العظيم دومًا، فرؤيته تُدني بهمة شديدة.» كثيرًا ما كان يدفع (حسن البنا) أصحابه ويشجعهم بكلماته الساحرة، وكثيراً ما كان تشجيعه يؤتى ثماره، ويبلغ الرجل من أصحابه بهذه الكلمات مبلغًا كبيرًا في دنيا النبوغ، وكأنه يعز عليه أن تخرج كلمات مُعلمه وأُستاذه دون أن تحقق رجاءها في الحقيقة، وهذا ما فعله مع الشيخ الغزالي رحمه الله، ففي في عام ١٩٤٥م كتب (حسن البنا) إلى (محمد الغزالي): «أخي العزيز الشيخ (محمد الغزالي):السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد .. قرأت مقالك (الإخوان المسلمون والأحزاب) في العدد الأخير من مجلة (الإخوان) فطربت لعبارته الجزلة، ومعانيه الدقيقة، وأدبه العفّ الرصين، هكذا يجب أن تكتبوا أيها الإخوان المسلمون، اكتب دائمًا وروح القدس يؤيدك، والله معك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».. وقد ذكر

الأستاذ (محمود عبد الحليم) في موسوعته الشهيرة أن الإمام البنا كان معجبًا بأسلوب (محمد الغزالي) وكان يوصي القائمين على الجريدة أن يهتموا به ويعتنوا بنشر مقالاته، ولم يكن البنا يشجع تلامذته فقط، بل كان تشجيعه مبدأً عامًا يعتمد عليه تجاه كل المسلمين، حتى من يختلفون معه في الأساليب والوسائل وطرق التبليغ.

يقول الشيخ (الألباني) في بعض تسجيلاته الصوتية: «كانت لي بعض أعمالي الكتابية التحريرية، مع الأستاذ الشيخ (حسن البنا) رحمه الله، وحينما كانت مجلة (الإخوان المسلمون)، تصدر في القاهرة، و هي التي تصدر طبعاً عن جماعة الإخوان المسلمين، كان الأستاذ (سيد سابق) بدأ ينشر مقالات له في فقه السنّة، هذه المقالات التي أصبحت بعد ذلك كتابًا ينتفع فيه المسلمون الذين يتبنون نهجنا من السير في الفقه الإسلامي على الكتاب والسنة، هذه المقالات التي صارت فيما بعد كتاب(فقه السنة) لسيد سابق، كنتُ بدأت في الاطلاع عليها، وهي لم تُجمع في الكتاب، وبدت لي بعض الملاحظات، فكتبتُ إلى المجلة هذه الملاحظات، وطلبتُ منهم أن ينشروها فتفضلوا، وليس هذا فقط، بل جاءني كتاب

تشجيع من الشيخ (حسن البنا) رحمه الله، وكم أنا آسِف أن هذا الكتاب ضاع مني ولا أدري أين بقي؟!

أما كتاب (فقه السنة) والذي يعد من أكثر الكتب الإسلامية طباعةً وانتشاراً، فإنه كذلك ثمرة من ثمار (حسن البنا)، فالكتاب لصاحبه العلامة الفاضل الشيخ (سيد سابق) رحمه الله، وهو من الكتب الفريدة التي لاقت رواجًا في عصرنا الحديث وترجمت بعدة لغات، وعرفه القاصي والداني من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ومن الطريف أن الشيخ (سيد سابق) حينما أُوفد رسمياً إلى الاتحاد السوفييتي في الستينيات في أحد المؤتمرات، ما أن خرج من المطار في صحبة مرافقه حتى فوجئ بحشد ضخم جاء لاستقباله في موسكو، بين مقبِّل ليديه أورأسه، وبين هاتف باسمه، فتعجب الشيخ متسائلاً: كيف عرفتموني؟ فكان ردهم: من كتابك فقه السنة!

يقول: فلم أتمالك نفسي من البكاء؛ إذ لم أكن أتصور أن فضل الله عليَّ سيبلغ بي إلى هذا الحد! ولعله حين ألفه قد استحضر مقولة الإمام مالك رحمه الله: «ستعلمون أيها أريد بها وجه الله غدًا» ولكن كيف كان ذلك ثمرَة من ثمار (حسن البنا)؟! إن الشيخ (سيد سابق) تعرف على (حسن البنا)

ودعوته وبايعه على العمل للإسلام ونشر دعوته، وعاونه بعد ذلك في تعليم الإخوان واستمر على طريقته في إعداد دروس الفقه وتدريسها، وصادف أن سمعها منه البنا ذات مرة، فاستحسن أسلوبه وطلب منه أن يعدها للنشر. يقول الشيخ: «فشرعت في جمع المادة من قصاصاتي، وبدأت نشر كتاب «فقه السنة».»

«إن التشجيع بالكلام له قوة تفوق قوة الكهرباء أوالطاقة النووية، فالكلام أكبر محفز للإنسان فيجعله مبادرًا ومنتجًا وناجحًا في الحياة، فالتشجيع يجعل السياسي والاقتصادي والتربوي يبدع في عمله، والتشجيع يجعل الكاتب يتحمس ويستمر في الكتابة، والتشجيع هو الذي يجعل اللاعبين في الملعب يتحمسون ويحققون الأهداف، فالتشجيع مثل الفيتامين للإنسان، فلنحسن استخدامه مع الكبار والصغار حتى نوجد أشخاصًا يحبون العمل ومبادرين ولديهم الثقة بأنفسهم.»[1]

• • •

(١) صحيفة اليوم السعودية / مقالات الدكتور جاسم المطوع

الشحن المستمر

عملية الشحن المستمر هي نوع خطير من أنواع التحفيز وألوان التشجيع، فلو لديك طالبًا مثلًا أو كان لك ولد ومن صغره في الدراسة تناديه يا دكتور فلان أو أن تقول له: أشعر يا بنيّ أنه سيكون لك شأن كبير، لا تظن يومًا ما أن هذه الكلمات سيتغاضى عنها وجدان ذلك الصغير وينساها فيما ينسى من أمور الحياة، بل على النقيض فهي عملية تذكير مستمر وشحن متواصل للغاية التي تريده أن يصل إليها، مثلها تمامًا ما فعله الدكتور (أحمد زويل) حينما كتب على باب حجرته: الدكتور (أحمد زويل) إلى أن صار إلى أعظم مما كان يتمناه، وما صلاة الجمعة وخطبة الإمام من كل أسبوع إلا تحفيزًا مستمرًا للطاعة والقرب من الله تعالى، وبعض أصحاب الهمم من يعلق صورة عظيم من العظماء أوعبقري من العباقرة، حتى تكون صورته تذكيرًا وشحنًا مستمرًا يحضه على أن يسلك مسلكه، بل إنك إذا انتهجت خلقًا من الأخلاق أوعادة من

العادات التي يراك بنوك عليها فما هي إلا تشجيع مستمر على هذا الخلق وهذه العادة التي تتأصل في نفوس أبنائك.

إن (إحسان عبد القدوس) وهو صغير كان يرى والده الأديب يكتب باستمرار ويخط بالقلم في أوراقه فسارع وأتى بقلم وورقة وأخذ يكتب مثل والده الذي كانت كتابته المستمرة تشجيعًا مستمرًا وتأصلت العادة في نفسه ليصير أديبًا كبيرًا، وهناك كلمات تؤثر في النفس ولوأن كلمة منها قيلت لإنسان لظل طول حياته يتذكرها ولا ينساها أبدًا لتأثيرها العميق في نفسه فإذا بها تدفعه للأمام ولتحقيق النجاح في حياته سواء كانت هذه الكلمة إيجابية أم سلبية فكلاهما مؤثر في النفس.

ومن سبيل الكلمات الايجابية ما حدث للعقاد وهوصغير حينما ألقيت عليه تلك الكلمة التي سعى طول حياته ليحقق منطوقها في ذاته فقد وفرت الظروف للأستاذ (العقاد) وهوصغير أن يلتقي بالأستاذ الإمام (محمد عبده) الذي زار مدرستهم، فعرض معلم الإنشاء كراسة العقاد على الإمام، فنظر فيها وأعجب ببعض كلامه وقال: ما أحرى هذا أن يكون كاتبًا بعد، ودفعته كلمات الإمام للأمام! لأنه جعلها بمثابة المنبه في

نفسه الذي يذكره كل يوم بحلمه وطموحه، وتجسد في صورة التشجيع المستمر نحو هذا الطريق! وكم يحتاج شبابنا لكلمات الأئمة والمفكرين التي تغرس فيهم الأمل، وتولد فيهم الطاقات الكامنة التي تنفع الأمة وتثري نهضتها!

ومن صور الكلمات السلبية ما حكاه الفيلسوف الكبير الراحل (زكى نجيب محمود) في كتابه (قصة نفس) حيث أكد أن مسيرته نحو النجاح والتفوق، كانت بسبب كلمة محبطة مثلت له الشحن المستمر كلما تذكرها.. كلمة جارحة سمعها من صديق والده فأججت مشاعره وجرفته نحو التحدي، كان في المرحلة الابتدائية يعانى من ضعف الإبصار معاناةً شديدة، وفي يوم من الأيام جاء صديق والده لزيارتهم، وتحدث معه الوالد حول مشكلة ولده وضعف إبصاره، فما كان من الصديق إلا أن نصحه: بأن يكف عن تعليم ولده في المدارس، لأن ضعف إبصاره، سيحرمه من التعيين ذات يوم من وظائف الحكومة التي هي الهدف الوحيد للتعليم، فإذا كان الطريق إليها مستحيلاً، فلماذا العناء إذًا في الدراسة، ولماذا يجهد نفسه في تعليمه والإنفاق عليه؟!، الأولى له أن يوفر ماله لشيء آخر.. كان الفتى يدور حولهما ويستمع حديثهما وهم يتناولون أمره،

وكان من ضمن ما سمع، هذه الكلمات القاسية المؤلمة، التي جرحت مشاعره وهزت إحساسه، ولكنها في الوقت نفسه لم تجلب له الإحباط واليأس أوالأسى على علته وحاله، إنها جاءت بنتيجة مغايرة؛ ودفعته دفعاً لمستقبل كبير، وحركت في دخائله مارد التحدي، فبعد خمسين عاماً في ميدان الثقافة والفكر، استطاع (زكى نجيب محمود) أن يُثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات والأعمال الفلسفية والأدبية، ثم يقول: «فإذا بهذه النصيحة تؤلمني أشد الألم، وبدلاً من أن تكون سبباً في إحباطي وتثبيط عزيمتي؛ فإذا بها تصبح حافزًا لي على مضاعفة القراءة، لكي أثير الغيظ في نفس قائلها حتى أصبحت القراءة من حياتي بمثابة الروح من الجسد»، وظل الفيلسوف الكبير يقرأ ويدرس ويتفوق حتى دخل الجامعة، وابتُعث إلى بريطانيا، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة، وذاع صيته وكثرت إبداعاته وكتبه، وأصبح فيلسوفًا كبيرًا، وبقدر ما نحمد هذه الروح المقاتلة التي تَحدت الإحباط، فإننا لا ينبغي أن نجعلها حالة عامة، ونبني عليها كثيراً، فليس كل الأبناء والفتيات يسير في وجدانهم وسلوكهم ما سار في نفس الدكتور (زكي نجيب محمود)، فالبعض يتصور أن جرح مشاعر الصغار، وتعييرهم بالفشل يُولد فيهم العزيمة والغيرة، ويستحضر همتهم

للنبوغ والتفوق!، وهذا تشجيع سلبي هادم لا دافع، كما أن من أخطر أنواع التشجيع السلبي أن تقارن بين ولدك وبين غيره من أترابه أو أقاربه ظنا منك أن هذا يولد فيه الغيرة ليذاكر ويتفوق! فإذا بقدراته أضعف من ذلك وأقل ممن جعلته نظيرًا له، فإذا به يصاب باليأس والإحباط ولا يجد غير الفشل ليحتضنه في ظل هذا الصراع النفسي الذي خلقته في نفسه.

لقد كانت (هند بنت عتبة) تمارس أسلوب الشحن المستمر مع ولدها (معاوية) حتى نفد إلى ما كانت ترجوه فلقد كان لها الفضل في تنشئته وغرس نزعة الطموح في نفسه، وتنمية مواهبه وقدراته في السياسة والدهاء، فمنذ يفاعته، كانت توضح له في عدة مناسبات حدود مطامحها في تربيته، ومن تلك المناسبات أنه كان يمشي مع أُمه فعثر فقالت: قم لا رفعك الله وأعرابي ينظر، فقال لها: لم تقولين له؟ فوالله لأظنه سيسود قومه، فقالت: لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه! ونظر إليه والده أبوسفيان يومًا وقال: إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط؟! ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة.. إن هذه الجملة التي حددت له الهدف دون الوسيلة بقيت في حافظته، يقيس ما توصل إليه من مجدٍ بها، فيرى

أنه لم يحقق حلم أمه فيه، فحين أصبح والياً على دمشق سنة (٢٠) للهجرة استقل ذلك، لأنه لم يصل إلى الهدف الذي رسمته له، ولم يحقق ما يرنو إليه مطمحها، فسعى إلى الخلافة بشتى الوسائل، حتى أصبح سيد العرب والمسلمين، ومؤسس دولة بني أمية.

كثير من العباقرة لا يعدونبوغهم أن يكون كما أشرنا نابعاً من حفاوة والد أوتحفيز أم، أوتشجيعٍ من معلم دفعه إلى غايته بكلماته، التي تمثل سقاءً يروي في نفسه منابت النبوغ، فتورق وتثمر أينع الثمار.. إن فتح القسطنطينية ظل حلماً يراود أمة الإسلام قرونًا وأزمانًا، ولم يتحقق إلا بالشحن المستمر، والتشجيع الدائم، لنفسية هذا الأمير الصغير، (محمد الفاتح) من شيخه (آق شمس الدين) الذي رباه منذ صغره على الحديث النبوي: «لتفتحن القسطنطينية فنعم الأمير أميرها، ونعم الجيش ذلك الجيش» وعاش الفاتح لهذه الأمنية، وظل يحلم باليوم الذي تسير فيه جيوش الإسلام صوب الحلم المأمول، حتى أنه كان يمشي إلى البحر بفرسه وهوما زال ابن بضع عشرة سنة، فتغوص أقدام حصانه في الماء، ويشير إلى القسطنطينية ويقول: «أنا آتيكِ أنا فاتحك!» وفُتحت

القسطنطينية وسقطت حصونها بضربات المسلمين، وهكذا يحقق التشجيع والتحفيز، حلمًا طالما راود كثيرًا من الخلفاء والسلاطين، بل راود أمة بأسرها، بل تحقق بالتشجيع نبوءة نبينا العظيم صلى الله عليه وسلم، حققها فتىً ناشئ فيما دون العشرين!

• • •

التشجيع غير المتعمد

أحياناً تدفع غيرك للنجاح دون قصد، وقد يكون هذا الدافع بمثابة التشجيع، ورسم طريق جديدة لمن يستلهمه.. تصرف عادي، لكنه يعتمل في نفس متلقيه فيوجه حياته ويطرق أبواب مواهبه، وهو ما حدث للأديب الكبير (ثروت أباظة) الذي أعطاه والده يوماً مجموعة قصصية أدبية للأطفال، كان أهداها له مؤلفها الكاتب الأديب (كامل كيلاني)، ولم يكن للوالد أن يتخيل يومًا أن تكون هذه المجموعة هي المنطلق الذي سيكون منه فيما بعد، الأديب الكبير (ثروت أباظة)!

ففي كتابة (لمحات من حياتي) يقول: «أذكر وأنا في الثامنة من عمري أن الأستاذ (كامل كيلاني) أهدى عشرة كتب من مؤلفاته إلى أبي، وأعطاني أبي هذه الكتب، ودخلت إلى غرفتي وانبطحت أرضًا وبدأت أقرأ الكتب، فما زلت بها حتى أتيت عليها وأنا في عالم سحري عجيب، وأعتقد أن هذه السنوات

كانت أجمل سنوات حياتي، وأجمل أوقاتها هي تلك التي بدأت فيها أتعرف على الكتاب وأصاحبه صحبة دامت حتى يومُنا هذا، واستطعت بفضل مكتبة (الكيلاني) أن أنتقل إلى الأدب الكبير دون أن أشعر بأي جهد، فحين بدأت قراءته سيطرت عليَّ متعة القراءة، وانتقلت بعد ذلك إلى تيمور، ثم في غير ترتيب زمني رحت أقرأ للعمالقة مبهورًا بهذه العوالم التي تفتحت آفاقها أمام عقلي ووجداني وكياني كله، وأنا أقرأ ل «طه حسين» و«هيكل» و«العقاد» و«الزيات» و«أحمد أمين» و«المازني.»، وهكذا كانت البداية التي جعلت من الفتى الصغير أديبًا مرموقًا فيما بعد، وإذا كانت من قدرة بعض التصرفات العادية الطبيعية أن تصنع مستقبلًا باهرًا.! فكيف بنا لوتعهدناها وتعمدناها، وأردنا فيها غايتنا لغدٍ مشرق لمن نريد؟!

إن الدكتور (مصطفى محمود) يتحدث عن المناخ الثقافي الذي نشأ فيه وأثره على تكوينه المعرفي، لكنه يؤكد أن والده كان يمثل الدعم الأكبر في مراحله الأولى، فمن المشاهد التي لم ينسها أبدًا أن الآباء من جيرانهم كانوا يدخلون بيوتهم و في يد الواحد منهم كيس من الفاكهة أوالخضار لكن أباه كان

يدع كل هذه الأمور لأمه، وكان يدخل البيت دائمًا وفي يديه كتب ومجلات، ويتذكر يومًا لا ينساه عندما دخل البيت وهو يحمل ربطة كتب ومجلات ملفوفة بخيط دوبارة وأعطاها له بدون أن يذكر له ماذا يفعل بها، وكان يومها صغيرًا ولا شك أنه سيلعب بها أويمزقها ويمرح على بقاياها، ولكن عينه وقعت على إحدى صفحات مجلة تحمل صورًا ورسومات شيقة وجذابة لقصة مصورة، لقد أعجبته وأراد أن يعرف بقيتها، فدفعه عقله الصغير إلى محاولة إعادة تجميع وترتيب القصة كلها، وكانت بداية القراءة مع الطفل (مصطفى محمود) وكان هذا ما يريده أبوه الذي كان يلمح تصرفاته من بعيد.

كانت هذه هي البداية والتشجيع غير المتعمد لأن يكون هذا الطفل هو كما سيكون في المستقبل الفيلسوف (مصطفى محمود) ربما كان يريد هذا الوالد أن يتعود ولده على القراءة حتى تزداد معارفه ويكون متفوقًا ومثقفًا بين أقرانه في الدراسة، أو أن تؤهله هذه الثقافة لارتياد كلية من كليات القمة، لكنه أبدًا لم يكن يتخيل أن هذا الصغير ومن هذه البداية الحميمة مع الكتب، سيكون أحد العباقرة المرموقين في المستقبل..إن مجرد قراءتك أمام أبناءك في البيت يجعلهم يقلدونك ويحاكونك

ليخرجوا للدنيا ومشهد الكتاب أليفًا لديهم فيشجعهم على المحاكاة والتقليد لتكون الثمرة كبيرة.

بعض المربين والآباء يغفل أشياء في حياته، ولا يدرك أنها تقوم بمقام التحفيز والتشجيع في نفوس الأبناء! قد تكون مجرد تصرفات عادية لكنها تسحر نفوس الصغار وتهيم بهم في تصورات أخرى! ثم هل تتخيل أن هذه الحوائط التي تركن إليها في بيتك من الممكن أن تساعدك في تشجيع الأبناء وتحفيزهم لتكوين شخصيتهم بالسلوكيات الإيجابية؟! لعلك الآن تتعجب وتندهش مما تسمع، ولكن دعني أقرب لك الأمر حينما تُعظم عالما أو تُكبر بطلًا أوتُقدر مُصلحاً وتعلق صورته على حائط بيتك أو حجرتك، هل تعتقد هنا أو تتخيل أن هذه الصورة وعلى هذا الحائط وبهذا الشكل ستمر مرورًا عاديًا في ذهن طفلك أو طفلتك؟!

إن هذه الصورة التي ينالها كل هذا الإكبار في بيتهم ستحتل مكانة كبيرة في نفوسهم، ومقامًا قدسيًا في وجدانهم، وتصير في خيالهم شعارًا ورمزًا ومجدًا وقدوة تحظى بالاعتزاز والتفخيم على مدار حياتهم، بل يصير صاحب الصورة على رباط وثيق بهؤلاء الصغار لأنهم يتصبحون به كل يوم كما يتصبحون

بأفراد أسرتهم.. ويجدون في نفوسهم تحفيزًا قويًا وحنينًا طاغيًا أن يحتذوا حذو هذا العظيم وهذه القدوة.. سواء كان في ميدان البطولة أوالعلم أوالأدب أو الابتكار والإبداع، ولعل الأسرة تفعل هذا الأمر بشكل عادي وتلقائي دون أن تدرك البعد العميق والمغزى الكبير من ورائه، والذي يمثل تشجيعًا وتحفيزًا غير متعمد، والوالد النجيب الفاهم الواعي هو الذي يكشف على الحوائط صور القادة والزعماء والعلماء، والمفكرين الحقيقيين الذين يحب لولده أن يكون مثلهم يتعرف عليهم ويتأثر ببطولتهم وأفكارهم، وهذا الأستاذ (جمال بدوي) رحمه الله يحكي لنا هذه التجربة، وكيف أحب رجلًا نشأ معه على حائط بيته وكان سببًا في التعرف عليه وقراءة أعماله بل والتأثر والحزن العظيم إن أساء إليه أحد رغم أنه ليس من أقربائه أو ذويه ولا يُمت له بِصلَّة إلا صلة العقل والروح وحائط البيت.

يقول: «تفتحت عيناي على صوة شيخ وقور تزين جدران بيتنا، كان الرجل بهيَّ الطلعة وسيم الملامح، مفتول الشارب، توحي نظراته بالارتياح والثقة، فكأنك أمام عم أوخال أو جد، ولقد ظننت في البداية أنه أحد الأقرباء، فلما بلغت مرحلة الصبا عرفت أنه لا يمت إلينا بصلة الدم، بل بصلة

العقل والروح، فقد كان أبي من عشاق (المنفلوطي)! فلما دخلت المدرسة الابتدائية واجهت نفس الصورة في كتاب المطالعة وتحتها عبارات تذوب رقة وعذوبة عن الرحمة والتراحم والبؤس والبؤساء، وكان عليَّ أن أحفظها حتى استخدمها في صياغة دروس الإنشاء، فقد كانت الوصية الأولى عند أستاذة اللغة العربية في كل أنحاء مصر: اقرأ (المنفلوطي) ثم اكتب على منواله.

وكلما تقدمت في مراحل التعليم ازددت قرباً من المنفلوطي، فقرأت (النظرات) ثم (العبرات)، ثم بقية السلسلة الراقية التي صاغها، (الفضيلة) و(ماجدولين) و(في سبيل التاج)، حتى بات المنفلوطي جزءًا لا يتجزأ من كياني الثقافي. وكان أشد ما يؤلم الأستاذ (بدوي) هو تحامل النقاد على الأدب المنفلوطي، واتهامه بإشاعة روح الضعف والتخاذل والخور في نفوس الشباب، أما الشيء المحزن للنفس والمؤلم للمشاعر؛ حينما تحتل حوائط بيوتنا صوراً لقادة وزعماء أومفكرين غربيين، وهذا جهل فاضح بتراثنا واستنكار رخيص لحضارتنا ومجدنا، فليكن أول ما يجب مراعاته في ألبوم حوائطنا أن نبرز فيها اعتزازنا بهويتنا وحضارتنا وقادتنا وزعماؤنا، إن صور (جيفارا)

تنتشر في حياتنا كعرب ومسلمين انتشار النار في الهشيم، بل أكثر مما تنتشر في بلاده، فالجميع جعلوه رمزًا للبطولة، وانتقل التعليق من الحوائط إلى القمصان والحقائب والنقش على الأبدان.

ولو طال أحدهم أن يجعله في جوفه لفعل، ويحدث هذا وكأننا أمة فقيرة في أبطالها، شحيحة في زعمائها، ضئيلة في قادتها، بل وكأن أرحام نسائها عجزت أن تلد بطلاً أوقائدًا يتباهى به أفرادها!، ولكن هل يكون استنكاري لتعليق صور جيفارا بنفس الحدة حينما أقابل من يعلقون صور الراقصين والراقصات وأرباب الانحلال والفجور؟ التي تشجعهم على الانحراف الأخلاقي والتنكر للرجولة؟!

لعل (جيفارا) أرحم بكثير من العراة الداعرين الذين نرفعهم في حياتنا.

• • •

المشجع الأعظم ﷺ

إننا أمام الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وفي الأزمات التي مر بها، والدواهي التي عاينها، كان يتحلى بالأمل، ويدفع اليأس، وكان الطاقة المحفزة والوقود المشجع الذي يُلهم أصحابه الصمود في طريق دعوتهم ويحثهم على اليقين والاطمئنان بنصر الله، ففي معركة (مؤتة) رجع الجيش من نزاله مع الروم منسحبًا بقيادة (خالد بن الوليد)، فاستقبلهم صبيان المدينة وهم يقولون: يا فرار يا فرار!، ولكن الرسول يدافع عنهم ويحميهم من هذه الكلمات المحبطة الأليمة، ويقول: بل هم الكُرار إن شاء الله، وفي غزوة الأحزاب قامت الدنيا كلها ضده تريد الإجهاز عليه، والقضاء على دعوته الناهضة، فها هي قريش جاءت بقضها وقضيضها، بغضبها وغرورها، فجمعت له الأحلاف والأحزاب، تريد أن تجعل من المدينة قبرًا له ولأصحابه، ليكونوا أحدوثة العرب، ومأثرة تفتخر بها

قريش عبر الزمن، وما هي إلا أيام أوساعات حتى يُطبقون على المدينة، فيذبحون رجالها ويسبون نساءها وأطفالها، أذلة صاغرين، وعبيدًا مستباحين، وهكذا كانت تُبيّت قريش وتتحين لحظة التنفيذ، فتحيل أمانيها لواقع ملموس.

لقد أمسى المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرة المنقطعة وسط طوفان يتهددها بالغرق ليلاً أونهاراً، وبين الحين والحين يتطلع المدافعون، هل اقتحمت خطوطهم في ناحية من مناطق الدفاع؟ حيث كان المشركون يدورون حول المدينة غضابًا يتحسسون نقطة لينحدروا منها فينفسوا عن حنقهم المكتوم، ويقطعوا أوصال هذا الدين الثائر»[1].

ووصف الله تعالى حالةَ المؤمنين في تلك اللحظة العصيبة بقوله:(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا • هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا)[2]، في قلب هذه المحنة الكبيرة المخيفة، ومن رحم هذا الخوف المفزع،

(١) فقه السيرة- الشيخ الغزالي

(٢) الأحزاب: ١٠-١١

يقف قويًا صلبًا مشبعًا بالأمل والتفاؤل بين سهام اليأس والقنوط، وقف ليحبط الإحباط، ويزرع الثقة والأمل في نفوس أصحابه، فإذا به يمسك بالمعول ويصيح عالياً: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن» فأي إيمان هذا وأية ثقة؟! كان يتجمل به ليُصَبِر أصحابه على مصابهم، أو أن يحثهم على الثبات حتى يأتي الفرج ويواسيهم على ما ينتظرهم من قدر مجهول، فيخفف عنهم ألم الاضطراب والقلق، وحالة الفزع التي توشك أن تأكل أرواحهم!، لكنه كان بكلماته أعلى من المحنة، وأكبر مما يحذرون ويخافون،وقل لي بالله عليك – هل يستقر في النفوس بعدما سمعت هذه البشريات المذهلة، أي وجل مما يشاهدون حولهم من تآمر وعدوان؟! أوهل يكون في قلوبهم خوف من هذه الفئات الضئيلة الهزيلة التي تواجههم وتكيد لهم، وهم يسمعون بآذانهم أنهم سيقهرون فارس والروم، ويغلبون الدنيا كلها بدعوتهم الرفيعة؟! لقد وقف أحد المنافقين الذين يمثلون كتيبة الإحباط، والتي لا تخلو منها المجتمعات، ولا تبرأ من عناصرها الدعوات والنهضات، وقف ليقول: «مُحمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر، وإن أحدنا لا يأمن أن يذهب لقضاء حاجته!» ويقول غيره: «يخبركم محمد أنه يبصر من

يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا!»، وتقول جموعهم فيما حكي الله تعالى عنهم: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)(١)ولكن أمواج اليأس تلاشت كلها هباءًا منثورًا أمام النتائج الكبرى والبشريات الواعدة التي نبأ بها رسول الله ، وما لبث الزمان أن حقق موعودها، ورأى العالم كله صدق ما أخبر به الصادق المصدوق! ونعود مع دائرة الزمن، لنرى الأعداء يرتدّون عن المدينة منهزمين خاسرين، فيهزأ بهم العرب، وتسخر منهم القبائل، أما المؤمنون فأدركوا بيقين أن قريشًا لم تهزم وحدها، وإنما هزمت قبلها بواعث اليأس والإحباط في نفوسهم، ليسيروا بعدها في الدنيا متسربلين بالأمل منتصرين بالتفاؤل! إن الأمل والتفاؤل وروح التحدي والثقة بالنفس، وكلمات التشجيع والتحفيز.. هي المعالم الكبرى والسمات الأصيلة التي بنى عليها الإسلام مجده وتاريخه ودولته وحضارته.

• • •

(١) الأحزاب:١٢

ما عليك فقط إلا أن تبدأ

كثيرون ممن يريدون أن يكونوا شيئًا هامًا في الحياة يملكون الأدوات والمواهب التي تمكنهم وتؤهلهم لبلوغ هذا الشيء، لكنهم لا يستطيعون تحقيق أي خطوة أو الوصول فيه إلى غايتهم منه، لأنهم يستصعبون الخطوة الأولى ولا يعرفون الطريق إلى البداية، ويتهيبون الدخول إلى عالمه، ويعجزون على إدراك نقطة الانطلاق، فإذا بهذه الحيرة تدفعهم إلى هَجرِه والعزوف عنه، وتحطيم أمانيهم وأحلامهم التي كانوا يتوقون إليها يومًا ما. والحق أن هذا التهيب لا مبرر له، فهو وهم كبير، فما دمت تملك أدوات الشيء ومؤهلاته فإنه لا ينقصك إلا أمر واحد يسير بسيط، ألا وهو البدء فيه، بأي شكل كانت هذه البداية كبيرة أم صغيرة، تافهة أم فخمة، قوية أوضعيفة، مرضية أم منفرة، ابدأ بأي شيء! فالمهم أولًا أن تبدأ، ثم يأتي بعد ذلك.. التطوير والتحسين والتعديل والحذف والإضافة

والتكميل والتهذيب، وكل الأدوات التي تبلغ بالعمل إلى درجة الكمال والتمام، وتؤهله لنهاية مُرضية وناجحة ومحمودة، فهل وعينا وعرفنا إذن كيف نلج إلى أحلامنا ونحقق مبتغانا ونصل إلى ما نتوق إليه؟! هل علمنا الآن كيف لو أننا شجعنا الكثيرين على مجرد البداية وعدم الخوف من مستحيل ضخم أو حلم بعيد المنال.؟!

إن أحدهم سألني يومًا وقال لي: أريد أن أكون كاتبًا وفي ذهني وعقلي أشياء كثيرة وأفكار عديدة، ولكني لا أعرف كيف أكتب ومن أين أبدأ؟! فقلت له وبكل سهولة: ما عليك فقط إلا أن تبدأ! حتى ولو كانت البداية بشيء تراه تافهًا سخيفًا ودون المستوى الذي تنشده وتتمناه، فإنك مع هذه البداية بالتعديل والتحسين والمراجعة والإضافة والحذف، ستصل إلى ما تريد من الرتبة والدرجة التي كنت تصبو إليها وتنشدها، فكثير من إنجازات الحياة التي أقامها العباقرة والعظماء، ما كانت في بدايتها إلا أفكارًا أوبدايات متقزمة هزيلة، ثم أصبحت بالتحسين والتطوير والتعديل شيئًا ضخمًا مبهرًا يسر الناظرين،ولكن ما علينا فقط إلا أن ندرك أن السر في البداية التي يتهدم بعدها كل عسير وصعب!. كثير من الكتب الهامة

في حياتنا ما كانت إلا مجرد خواطر ومحاضرات أو أفكارًا بسيطة ألقاها أصحابها على الجماهير من حولهم أو المستمعين لهم من الطلاب والمريدين، ومع التفكير والتطوير والتحسين أصبحت كُتبًا هامة ومحورية، قادت الجنس البشري كله على اختلاف بلدانه وألوانه، وأضافت للحياة منافع عظيمة.. وعلى هذا يكون الانطلاق ويكون المسير، فإذا عرفت موهبتك، وعلمت إمكاناتك، وأيقنت رغبتك، فلا تستصعب شيئًا في الحياة، ما عليك إلا أن تصبر وتؤمن وتستبشر وتوقن بالنجاح، وتثق في نفسك أنك يومًا ما ستكون كما تريد، فهذه هي القوة والوقود الذي يبلغك إلى غايتك.

يجب أن تكون في هذا شبيهًا بـ «أندريه أجاسي» الذي فاز في بطولة (ويمبلدون) للتنس الأرضي عام ١٩٩٢م، والذي رسم البداية في خياله وانطلق منها ليصل إلى هدفه المنشود، وحينما جاءه الصحفيون يباركون له ويهنئونه بالفوز وهم يقولون: مبارك عليك هذا الإنجاز يا (أجاسي)! رد عليهم مستنكرًا: لم تكن هذه هي المرة الأولى التي أفوز فيها ببطولة (ويمبلدون) فقد فزت بها آلاف المرات من قبل، فنظر الصحفيون إلى بعضهم متعجبين مستغربين من قوله، وقالوا له: ولكننا لم

نعرفك إلا هذا العام، ومن فوزك فقط في هذه البطولة! ولما أدرك حيرتهم قال لهم: نعم لقد فزت بها قبل ذلك حينما كان عمري ١٠ سنوات، حيث كنت لا أنام ليلتي إلا بعد أن أكون قد تخيلت فوزي هذا، وتخيلت نفسي وأنا أرفع هذه الكأس، لقد تخيلت فوزي وإنجازي و سعادتي آلاف المرات، لقد عرف (أجاسي) ما خفي على كثير من المتعثرين ؛ عرف البداية التي جعلها النقطة والطريق الذي يصل منه إلى أمله، لقد كانت هذه البداية هي ذلك الخيال الي دفعه إلى التدريب والإعداد والتحسين والتطوير إلى أن أصبح بطل العالم!

هل تصدق أن (محمد التابعي) صاحب القلم الجبار الذي أسقط حكومات وعزل وزراء وكان الكل يخشاه ويعمل له ألف حساب؛ لمقالاته السياسية الجريئة الناقدة لم يكن يحب السياسة ولم يكن يستطيع أن يكتب فيها، ولم يكن يميل إليها؟! إذن فما القصة وكيف كان هذا التحول من كاتب في الفن والتمثيل إلى أكبر وأعظم كاتب سياسي في مصر؟، يأتي ذلك حينما كان يعمل مع (روز اليوسف) في مجلتها الفنية

والتي كانت تخسر باستمرار فنصحها أحدهم أن تكتب في السياسة حتى تنال رضى القراء ويقبلون على مجلتها وتحقق النجاح المرجو، ومن هنا كان لابد لهذا التحول أن يتحول معه المحرر الأكبر في المجلة ورئيس تحريرها الأستاذ (محمد التابعي) من الفن إلى السياسة، لكنه كان يثور لمجرد أن تطلب منه (روز اليوسف) أو أي زميل بالمجلة أن يكتب في السياسة وما حولها، وكانوا يستقبلون هذه الثورة بالابتسام حيث يتفهمون موقفه، ولكنهم لم ييأسوا وأعادوا عليه الطلب مرة أخرى، وشجعته (روز) وسهلت له الأمر بقولها: الفرق بين كتابة أخبار السياسة وأخبار الفن بسيط جدًا -هوفقط- بدلاً من الكتابة في (يوسف وهبي) تكتب عن (زيور باشا) وهذه البساطة في الشرح كانت تثير أعصاب التابعي لدرجة أنه في ليلة والنقاش حاد حول هذا الموضوع قال للجميع: «يا اخوانا انا معرفش أكتب في السياسة ولا أقابل السياسيين «، وأسند كتابة هذا الباب لبعض محرري البلاغ، وإزاء هذه المواقف المضطربة بدأ (التابعي) يكتب في السياسة وفتح بابًا جديدًا تحت عنوان (مسرح السياسة) وكان يعلق فيه على الأخبار بأسلوبه المميز وشيئًا فشيئًا تطور الأمر وظهرت موهبته السياسية ليصبح أكبر كاتب سياسي مؤثر يتطلع الجميع لرأيه ومقالاته - فقط

لأنه بدأ- فهل نبحث لنا عن بداية؟! أم أننا نُحب أن نظل في حيرة مؤرقة، واضطراب مظلم، نسوّف ونؤجل حتى يذهب حماسنا وتنصرم عزائمنا وتضيع مواهبنا وتتكسر أحلامنا ونخسر مستقبلنا.

رجاءًا ابدؤوا!

• • •

سقاء المعلمين

ذكر الإمام البخاري ثلاثة أسباب لتأليف سِفره المشهور (صحيح البخاري) أشهرها أنه كان في حلقة (إسحاق بن راهويه)، وأن «إسحاق» قال محفزًا طلابه لجمع الحديث الصحيح:(لو أن أحدكم يجمع كتابًا فيما صح من سنة الرسول؟!)، جملة واحدة قالها إسحاق فوقعت في نفس البخاري فصنف ذلك الكتاب الذي انتشر في الآفاق وصار أصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه، وكذلك ذكر الإمام الذهبي إمام زمانه حفظًا، فيروي أن سبب طلبه لعلم الحديث كلمة واحدة، شحذت همته وملأت قلبه وعقله، سمعها من معلمه (الإمام البرزالي) قال (الذهبي): لما رأى الإمام البِرزالي خطي، قال لي مستحسنًا: إن خطك هذا يشبه خط المحدثين ؛ فحبب الله إليَّ علم الحديث.

يُقر نجيب محفوظ دومًا بفضل توفيق الحكيم عليه وكان يردد:

«لولا الحكيم لما كنت أديباً» أغرتني تلك المقولة بقراءة كتب (توفيق الحكيم) فتخطيت ما كتبه هو لأقرأ ما كتب عنه، وكان أولها كتاب (توفيق الحكيم يتذكر) لـ(جمال الغيطاني)، الذي ذكر فيه حديث (الحكيم) عن شخصية الرجل الذي شجعه وحبب إليه الأدب، وهو الشيخ المعمم مدرس اللغة العربية، وكان عصري التفكير غير متقيِّد بالأساليب القديمة في التدريس، وكان أسلوبه فريدًا حيث استطاع أن يحبب الأدب العربي إلى طلابه، ويجذبهم إليه ببعض أشعار الغزل الرقيق (للعباس بن أحنف)، و(مهيار الديلمي)، و(عمر بن أبي ربيعة)، ومن شابههم وبعض أشعار المديح والحِكَم والمواعظ، فما أن يلقي ما لديه على الطلاب المراهقين إلا ويضجون بالإعجاب ويطالبون بالمزيد، بل ويسألون عن المصادر ويدونون ما يسمعونه في دفاترهم، وهم بحكم مرحلتهم العمرية، تشتعل عواطفهم ويألفون الحديث عن الحب والهيام والشعور الجميل والخيال البديع، ومنذ ذلك الحين، وعلى يد هذا المعلم، بدأ اهتمام الحكيم بالأدب العربي، الذي أحبه كل الطلاب، وبدا ذلك في موضوعاتهم الإنشائية التي كانوا يرصعونها بأبيات الشعر والعبارات الرصينة والسجع، وصور البيان المختلفة، أما (الحكيم) فدهش ذات يوم، عندما منحه هذا المعلم أعلى

الدرجات في موضوع كَتبَه، لم يُعنَ فيه بحشر أبيات شعرية، ولا برص عبارات محفوظة، بل كتبه وهو شبه مريض مكدود، أطلق فيه نفسه على السجية، وترك قلمه يجري ببساطة من لا يريد أن يبذل جهداً في الإنشاء، أويتكلف تأنقاً في البيان، والعجيب أنه كان يتوقع منه توبيخًا وتأنيبًا، فإذا به يمنحه أعلى الدرجات، ويتلقى منه تقريظًا، وسلمه كراسة الإنشاء و قال له: «أحسنت! إن خير البيان مالا يتكلف فيه البيان».

كما أنني لم أجد من الأدباء أكثر حنقاً على المثبطين الذين لا يقدمون كلمات التشجيع والتحفيز لمن حولهم من الأستاذ (خالد محمد خالد) فهوالأديب الأريب، صاحب العبارة الجذلة والبيان الرشيق وله مواقف وتجارب حياتية مثيرة حكاها في مذكراته الثرية التي نشرها تحت عنوان (قصتي مع الحياة) فكان مما قال: «إن الذين يضنون على النجاح بكلمات التشجيع والتقدير، إنما يمثلون آفة خطيرة بين آفات المجتمع إنهم بأحقادهم، وإعراضهم، يحتبسون المواهب ويعتاقون سيرها ونموها من أجل ذلك كان رسولنا أكثر المعلمين والمربين إشادة بكل من يحقق في حياته الصالحة نجاحًا وفوزًا»، أما الدكتور (زكي مبارك) فإننا نجد أثر التشجيع حاضرًا قويًا في حياته،

وقد أثر بقوة في اجتهاده الأدبي، فها هو يصف لنا أول لقائه بشيخه (المرصفي) فيقول: «في سنة ١٩١٣ رأيت في الأزهر رجلًا نحيل الجسم غائر العينين لا تفصح سيماه عن شيء، وحوله عشرة من الطلاب وهو ينشد شعرًا بصوت شجيٍّ، فجلست أستمع لإنشاده، وما هي إلا لحظة حتى تبينت أن الذي يُحرم دروس هذا الرجل لا يخرج من الأزهر إلا بصفة المغبون، ثم أخذت أحافظ على تلك الدروس في حماسة وإعجاب. وسأل المرصفي سؤالاً فأجاب زكي، فقال الشيخ في حماسة شديدة: (إيه يا عروس الأدب!)، يقول مبارك: (وكانت أول كلمة حببت إلى قلبي دراسة الآداب، كان الشيخ خافت الصوت، فكُنت أبكر إلى درسه لأقرب منه، وكنت أكتب كل ما ينطق به، حتى جمعت من درسه ثلاثين كراسة، هي اليوم أنفس ما أملك من ذكريات الأزهر الشريف، وكان الشيخ قد تعود أن يراني أمامه، فجئت يومًا متأخرًا، ورفض الطلبة أن يفسحوا لي المجال، فقال الشيخ: أين زكي؟!

فأجبت من بُعد: ها أنا ذا يا مولايْ، فقال: «وسعوا له لعله ينفع» ثم يقول: « ضاعف الشيخ رحمه الله من حرصه على نفعي، فكنت أحضر جميع دروسه، وأصحبه في الطريق،

وأمضي إلى بيته، فأطَّلع على ما لديه من مكنون الذخائر الأدبية واللغوية»[1]، بل إن عِلم الشيخ صار يعرف طريقه إلى لُبه بكل سهولة ويُسر، وصار ينقل عنه نوادره وإبداعاته ويحفظها، بل يجمع عنه كل ما ينطق به؛ لأنه صار قريبًا إلى قلبه ومُحببًا إلى نفسه، وأرى أن ذلك كله يرجع في أساسه إلى تشجيع الشيخ له ومدحه إياه، وبأحب الكلمات التي تستهويها نفسه، وحينما ينجح المعلم في كسب قلب تلميذه، فإنه لا يجد صعوبة في توصيل ما يحتاج إليه من العلم، فالطريق ممهدة ميسورة لا عوائق فيها، ويظهر لنا جليًا أن الشيخ (المرصفي) توسم في (زكي مبارك) علامات النبوغ، فتبناه علميًا وأفسح له الطريق وشجعه وقربه منه، ولعل كثيرًا من الطلاب لو وجدوا هذه العناية وهذا الترحاب من معلميهم، لاستطاعوا أن يكونوا شيئًا مذكورًا، ولكن الجهل بالتشجيع وأثره في النفوس، يظلم الأجيال ويُطفئ فيها جذوة الموهبة!

• • •

(١) نقلًا عن زكي مبارك لأنور الجندي بتصرف يسير.

تحت سماء لندن

في لندن كان يطمح هذا الشاب أن يكون كاتبًا مرموقًا، لكن الأقدار منعته من ذلك، فقد كان فقيرًا لا يستطيع أن يلتحق بالمدرسة، وينتظم في صفوفها وبين طلبتها؛ لأنه يعجز عن دفع رسومها؛ ولأن والده دخل السجن.. عاش هذا الفتى الفقير حياة الحرمان والجوع والفقر، ولم يجد أمامه إلا أن يعمل في مهنة حقيرة مَهينة، في مخزن مهجور يعُج بالفئران، يلصُق الورق على زجاجات الطلاء، وفي هذا المستودع كان يعيش مع فتيّن آخرين، وفي ظل هذا البؤس والضياع كان يشعر برغبة قوية في نفسه، تقوده نحو الكتابة، التي كان يعشقها ويختلي بها في جوف الليل، حتى لا يراه أحد فيسخر منه؛ فيحطم إحساسه المرهف! كان يكتب قصصه ويرسلها للصُحف، يرسل القصة تلو القصة؛ فلا يجد غير الرفض والتجاهل، ورُغم هذا كانت قوة الموهبة تدفع عنه مشاعر الإحباط وتوحي إليه بالاستمرار فيما يهواه، إلى أن جاء اليوم الذي قُبلت فيه أول قصة من

قصصه التي أرسلها..لقد شعر وقتها بأن الدنيا تضيق على سعادته، وهذه السعادة لم تكن لأنه تقاضى مالًا على قصته! فهو لم يحصل منها على شيء، ولكن تدفقها كان سببه الأول أن الصحفي الذي نشر قصته شجعه وامتدح أسلوبه فيها؛ جعله هذا الإطراء والمديح يسير هائمًا على وجهه في الشوارع، والدموع تنهمر من عينيه فرحًا واغتباطًا، ومن يومها تغيرت حياته وارتسم له خط آخر، وأصبح فيما بعد (تشارلز ديكنز) الأديب المشهور الذي لولا هذه الكلمات التشجيعية التحفيزية؛ لكان من الممكن أن يقضي بقية حياته بين الفئران، يلصق الورق على زجاجات الطلاء! لكنه أصبح بفضل هذه السطور البسيطة، أعظم الروائيين الإنجليز في العصر الفيكتوري، بإجماع النقاد، ولا يزال كثيرٌ من أعماله يحتفظ بشعبيّته حتى اليوم، تميَّز أسلوبه بالدُّعابة البارعة والسخرية اللاذعة، صوَّر جانبًا من حياة الفقراء، وحمل على المسئولين عن المياتم والمدارس والسجون حملةً شعواء، من أشهر آثاره: (أوليفر تويست) و(قصة مدينتين) و(أوقات عصيبة).

وتحت ذات السماء-سماء لندن- كان هناك صبي آخر يسمى (هيربرت جورج ويلز) يعمل كاتبًا في متجر متواضع للسلع

الجافة، يستيقظ في الخامسة صباحًا، ويُنظف المحل ويكدح لمدة ١٤ ساعة يوميًا، وكان عملًا شاقًا حقيرًا يشعر فيه بالمهانة، ولا ترتضيه نفسه، وبعد عامين لم يعد يحتمله، فنهض في أحد الأيام ولم يتناول إفطاره، وقطع ١٥ ميلًا لكي يصل إلى أمه التي كانت تعمل مُديرة منزل لأحد الأثرياء، وتوسل لأمه أن تُعفيه من هذا العمل، وكان شديد الاضطراب، حتى اضطره الأمر أن يُهددها بالانتحار والتخلص من حياته لوأنها أصرت على عودته لهذا العمل المهين، ووجد في نفسه حنينًا لأن يسمعه أحد ويشاركه همومه، فكتب خطابًا طويلًا إلى مدير مدرسته القديمة، يشكو إليه حاله وآلامه وسوء حظه في الحياة، التي لم يعد يشعر بمعناها حتى أنه لم يعد يريد العيش!

وردَّ عليه مدير المدرسة وامتدحه، وأكد له أنه ذكي جدًا، ويصلح لأمور أحسن مما هو فيها، وعرض عليه العمل كمدرس، وعينه بالفعل مدرسًا في مدرسته، واستطاع هذا الثناء والمديح أن يغير مستقبل هذا الغلام الذي كان له شأنه وتأثيره المرموق في الأدب الإنجليزي، لقد ألف هذا الصبي منذ ذلك الحين سبعًا وسبعين كتابًا، وحصل على مليون دولار من

كتاباته[1].

يقول الناقد والمفكر الراحل (رجاء النقاش): «في أحوال غير قليلة يعجز النقاد عن فهم العبقريات المعاصرة لهم، فيتهمونها، حتى يأتي جيل جديد بعد جيل العباقرة فيفهم ويتحمس لهم، وكم من عبقري مات جائعًا، ثم أصبحت أعماله بعد رحيله يتهافت عليها الناس وتُباع بالملايين.»[2] ولهذا أقول دائمًا: أن تقتل مبدعًا ليس بأقل من أن تقتل طفلًا بريئًا أوعالمًا كبيرًا، وصورة أخرى لتجاهل العباقرة، فالذين لا يعترفون بالعباقرة حولهم ليس لديهم مشكلة إلا أنهم لم يتعودوا أن يروا عبقريًا، وإنما تعودوا أن يسمعوا عنه، فإذا كان بينهم فإنهم لا يعبؤون به، وكما قيل: «لا كرامة لنبيٍّ في وطنه»؛ فإذا ما انتقل هذا العبقري إلى مجتمع آخر، سرعان ما يُكتشف أمره، ويذيع صيته، ويظهر شأنه، فكثيرون لم تعرفهم الدنيا إلا حينما تركوا أوطانهم ورحلوا إلى مجتمعات تملك مقومات الاكتشاف.

تحت سماء لندن، كانت هناك طفولة بئيسة مضنية ذاق معها صاحبها مر العيش وكآبة الحرمان. لكن الأقدار كانت تخبئ

(١) راجع كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الآخرين – ديل كارينجي.

(٢) تحت المصباح – رجاء النقاش.

له مستقبلاً واعداً ومجداً لم يكن يتوقعه.إنه الفنان الكوميدي الشهير(شارلي سبنسر شابلن)، الذي ولد في ضاحية «والوورث» التي تُعد الأكثر فقرًا وبؤسًا في لندن، لقد وصف شارلي هذه الطفولة بأنها تشبه الطفولة التي رسمها الروائي الانجليزي (تشارلز ديكنز) في رواياته العديدة.

توفي والده وعانت والدته انهيارًا عصبيًا لتوضع في مصحة للأمراض العقلية. ويواجه مع شقيقة قسوة الحياة. يأكل فضلات الطعام من صناديق القمامة، ويرى الناس يدخلون المطاعم فيقف خلف الزجاج يبتلع ريقه وهو يراهم يأكلون، ويعمل ماسحًا للأحذية، ثم قاطعًا للأخشاب في أحد المغالق، ويبيت في الشوارع الباردة ويتسكع في الطرقات، ويذهب ليعمل بإحدى المطابع لمدة يوم واحد فقط ثم يطرد منها، ويعيش أيامًا كما قيل عنها: «يصبح فيها فنجان الشاي الساخن أمنية من أمنيات العمر»، ثم تقوده قدماه إلى مكتب لتشغيل فناني المسرح فيدخل مع الداخلين فيراه مدير المكتب ويسأله ما جاء بك إلى هنا؟ فيفكر ثم يقول له: «هل لديكم أدوار للأطفال؟»، فيرسله مدير المكتب إلى سكرتيرته ويقول له: أعطها اسمك وعنوانك وانصرف، فيغادر المكتب ثم تأتيه بعد

أيام رسالة بالبريد تطلب منه التوجه إلى أحد المسارح حيث تجرى بروفات مسرحية فيها دور لصبي صغير، وكانت البداية الأولى على طريق الفن، ويرحل مع شقيقه إلى (أميركا) حيث ولدت هناك صورته التي نعرفها جميعًا والتي اشتهر بها، صورة الصعلوك الصغير بسرواله الواسع، وحذائه الكبير، وسترته الضيقة وقبعته وعصاه الشهيرة، لينطلق مشواره نحوالنجومية، وكانت البداية من الفيلم الكوميدي «أطفال يتسابقون في فينس»، ثم اشتهر بشخصية «الصعلوك» المتشرد ذي الأخلاق الحميدة والشهامة، تلك الشخصية المبتكرة هي التي طورت من موهبته الكوميدية، وأصبحت إحدى الشخصيات الأسطورية في هوليود وأنحاء العالم، فأحبه الناس كبارًا وصغارًا وبقي اسمه على كل لسان»[1] وهكذا يستطيع المجتمع أن يخلق القدرات لو أنه أعطاها -الفرصة والتجربة والتشجيع لتعبر عما بداخلها- تظهر مواهبها.

• • •

(١) صحيفة الإمارات اليوم

انتشلوهم من محنتهم

قصة المعلمة والطفل (تيدي ستودارد) حين وقفت المعلمة أمام الصف الخامس في أول يوم تستأنف فيه الدراسة، وألقت على مسامع التلاميذ جملة لطيفة تجاملهم بها، نظرت لتلاميذها وقالت لهم: إنني أحبكم جميعًا، هكذا كما يفعل جميع المعلمين والمعلمات، ولكنها كانت تستثني في نفسها تلميذًا يجلس في الصف الأمامي، يدعى (تيدي ستودارد) لقد راقبت السيدة (تومسون) الطفل تيدي خلال العام السابق، ولاحظت أنه لا يلعب مع بقية الأطفال، وأن ملابسه دائمًا متسخة، وأنه دائمًا يحتاج إلى حمام، بالإضافة إلى أنه يبدو شخصًا غير مبهج، وقد بلغ الأمر أن السيدة (تومسون)، كانت تجد متعة في تصحيح أوراقه بقلم أحمر عريض الخط، وتضع عليها علامات، وبعد ذلك تكتب عبارة «راسب» في أعلى تلك الأوراق، وفي المدرسة التي كانت تعمل فيها

السيدة(تومسون)، كان يطلب منها مراجعة السجلات الدراسية السابقة لكل تلميذ، فكانت تضع سجل الدرجات الخاص بتيدي في النهاية، وبينما كانت تراجع ملفه فوجئت بشيء ما!! لقد كتب معلم تيدي في الصف الأول الابتدائي ما يلي: «تيدي طفل ذكي ويتمتع بروح مرحة. إنه يؤدي عمله بعناية واهتمام، وبطريقة منظمة، كما أنه يتمتع بدماثة الأخلاق»..وكتب عنه معلمه في الصف الثاني: «تيدي تلميذ نجيب، ومحبوب لدى زملائه في الصف، ولكنه منزعج وقلق بسبب إصابة والدته بمرض عضال، مما جعل الحياة في المنزل تسودها المعاناة والمشقة والتعب»..أما معلمه في الصف الثالث فقد كتب عنه: «لقد كان لوفاة أمه وقع صعب عليه، لقد حاول الاجتهاد، وبذل أقصى ما يملك من جهود، ولكن والده لم يكن مهتمًا، وإن الحياة في منزله سرعان ما ستؤثر عليه إن لم تُتخذ بعض الإجراءات».بينما كتب عنه معلمه في الصف الرابع: «تيدي تلميذ منطو على نفسه، ولا يبدي الكثير من الرغبة في الدراسة، وليس لديه الكثير من الأصدقاء، وفي بعض الأحيان ينام أثناء الدرس»..وهنا أدركت السيدة تومسون المشكلة، فشعرت بالخجل والاستحياء من نفسها على ما بدر منها، وقد تأزم موقفها إلى الأسوأ عندما أحضر

لها تلاميذها هدايا عيد الميلاد ملفوفة في أشرطة جميلة وورق براق، ما عدا (تيدي)، فقد كانت الهدية التي تقدم بها لها في ذلك اليوم ملفوفة بسماجة وعدم انتظام، في ورق داكن اللون، مأخوذ من كيس من الأكياس التي توضع فيها الأغراض من بقالة، وقد تألمت السيدة تومسون وهي تفتح هدية تيدي، وانفجر بعض التلاميذ بالضحك عندما وجدت فيها عقدًا مؤلفًا من ماسات مزيفة ناقصة الأحجار، وقارورة عطر ليس فيها إلا الربع فقط، ولكن سرعان ما كف أولئك التلاميذ عن الضحك عندما عبَّرت السيدة تومسون عن إعجابها الشديد بجمال ذلك العقد ثم لبسته على عنقها ووضعت قطرات من العطر على معصمها في محاولة تشجيعية لغرس الثقة في نفسه والتقرب منه، ولم يذهب (تيدي) بعد الدراسة إلى منزله في ذلك اليوم؛ بل انتظر قليلاً من الوقت ليقابل معلمته ويقول لها: إن رائحتك اليوم مثل رائحة أمي!

وعندما غادر التلاميذ المدرسة، انفجرت السيدة تومسون في البكاء لمدة ساعة على الأقل، لأن تيدي أحضر لها زجاجة العطر التي كانت والدته تستعملها، ووجد في معلمته رائحة أمه الراحلة!، وقد أولت السيدة تومسون اهتمامًا خاصًا لتيدي،

وحينما بدأت التركيز عليه بدأ عقله يستعيد نشاطه، وكلما شجعته كانت استجابته أسرع، وبنهاية السنة الدراسية، أصبح تيدي من أكثر التلاميذ تميزًا في الفصل، وأبرزهم ذكاء، وأصبح أحد التلاميذ المدللين عندها، وبعد مضي عام وجدت السيدة تومسون مذكرة عند بابها للتلميذ تيدي، يقول لها فيها: «إنها أفضل معلمة قابلها في حياته»..مضت ست سنوات دون أن تتلقى أي مذكرة أخرى منه. ثم بعد ذلك كتب لها أنه أكمل المرحلة الثانوية، وأحرز المرتبة الثالثة في فصله، وأنها حتى الآن مازالت تحتل مكانة أفضل معلمة قابلها طيلة حياته، وبعد انقضاء أربع سنوات على ذلك، تلقت خطابًا آخر منه يقول لها فيه: «إن الأشياء أصبحت صعبة، وإنه مقيم في الكلية لا يبرحها، وإنه سوف يتخرج قريبًا من الجامعة بدرجة الشرف الأولى، وأكد لها كذلك في هذه الرسالة أنها أفضل وأحب معلمة عنده حتى الآن».

وبعد أربع سنوات أخرى، تلقت خطاباً آخر منه، وفي هذه المرة أوضح لها أنه بعد أن حصل على درجة البكالوريوس، قرر أن يتقدم قليلًا في الدراسة، وأكد لها مرة أخرى أنها أفضل وأحب معلمة قابلته طوال حياته، ولكن هذه المرة كان اسمه

طويلًا بعض الشيء، دكتور ثيودور إف. ستودارد!! لم تتوقف القصة عند هذا الحد، لقد جاءها خطاب آخر منه في ذلك الربيع، يقول فيه: «إنه قابل فتاة، وأنه سوف يتزوجها، وكما سبق أن أخبرها بأن والده قد توفي قبل عامين، وطلب منها أن تأتي لتجلس مكان والدته في حفل زواجه، وقد وافقت السيدة «تومسون» على ذلك»، والعجيب في الأمر أنها كانت ترتدي العقد نفسه الذي أهداه لها في عيد الميلاد منذ سنوات طويلة مضت، والذي كانت إحدى أحجاره ناقصة، والأكثر من ذلك أنه تأكد من تعطّرها بالعطر نفسه الذي ذَكّرهُ بأمه في آخر عيد ميلاد! واحتضن كل منهما الآخر، وهمس (دكتور ستودارد) في أذن السيدة تومسون قائلاً لها، أشكرك على ثقتك فيّ، وأشكرك أجزل الشكر على أن جعلتيني أشعر بأنني مهم، وأنني يمكن أن أكون مبرزًا ومتميزًا، فردت عليه السيدة «تومسون» والدموع تملأ عينيها: «أنت مخطئ، لقد كنت أنت من علمني كيف أكون معلمة مبرزة ومتميزة، لم أكن أعرف كيف أعلِّم، حتى قابلتك».

وبعد ذلك من هو«تيدي» وكيف صار؟ لقد أصبح «تيدي ستودارد» الطبيب الشهير الذي لديه جناح باسم

مركز «ستودارد» لعلاج السرطان في مستشفى ميثوددست في ديس مونتيس ولاية أيوا في أمريكا، ومن أفضل مراكز العلاج المعروفة، وعلى غرار هذه المعلمة المثالية كان هناك المعلم العبقري الذي حل مدرسًا للغة العربية محل معلم غادر لإكمال دراسته العليا، بدأ في شرح الدرس فسأل طالبًا من الطلاب، فضحك جميع زملائه.. ذُهل المدرس وأخذته الحيرة والدهشة — ضحك بلا سبب — لكن خبرته التدريسية علمته أن وراء الأكمة ما وراءها؛ أدرك من خلال نظرات الطلاب سر الضحك وأن الطلاب يضحكون لوقوع السؤال على طالب غبي في نظرهم.

خرج الطلاب نادى المدرس الطالب المسؤول واختلى به وكتب له بيتًا من الشعر على ورقة وناولها إياه، وقال: «يجب أن تحفظ هذا البيت حفظًا كحفظ اسمك ولا تخبر أحدًا بذلك، في اليوم التالي كتب المدرس بيت الشعر على السبورة وقام بشرحه مبينًا فيه المعاني والبلاغة والبديع .. الخ، ثم مسح البيت وقال للطلاب: من منكم حفظ البيت يرفع يده، لم يرفع أي طالب يده باستثناء ذلك الطالب رفع يده باستحياء وتردد، قال المدرس للطالب: أجب! أجاب الطالب بتلعثم وعلى الفور

أثنى عليه المدرس ثناءًا عطرًا وأمر الطلاب بالتصفيق له.

الطلاب بين مذهول ومشدوه ومتعجب ومستغرب، تكرر المشهد خلال أسبوع بأساليب مختلفة وتكرر المدح والإطراء من المدرس والتصفيق الحاد من الطلاب، بدأت نظرة الطلاب تتغير نحو الطالب؛ بدأت نفسية الطالب تتغير، بدأ يثق بنفسه ويرى أنه ليس ب غبيٍّ -كما كان يصفه مدرسه السابق- شعر بقدرته على منافسة زملائه بل والتفوق عليهم، ثقته بنفسه دفعته إلى الاجتهاد والمثابرة والمنافسة والاعتماد على الذات..اقترب موعد الاختبارات النهائية اجتهد ثابر نجح في كافة المواد، دخل المرحلة الثانوية بثقة أكثر وهمة عالية، زاد تفوقه، حصل على معدل أهله لدخول الجامعة، أنهى الجامعة بتفوق، واصل دراسته حصل على الماجستير ؛ وتأهل لمواصلة الدكتوراه، قصة نجاح كتبها الطالب بنفسه في إحدى الصحف داعياً لمدرسه صاحب بيت الشعر أن يثيبه الله خير الثواب.

• • •

مع أنيس منصور

لقد كان (أنيس منصور) يحفظ القرآن في صغره، وفي يوم من الأيام استدعاه ناظر المدرسة ليجد والده في مكتب الناظر، ومعه عدد من المدرسين، وطلب منه والده أن يقرأ سورة هود، فقرأ، ثم سورة مريم، فقرأ، فقال له أحد المدرسين: تحفظ سورة الطور؟ فقرأ، وقال له والده: سورة المنافقين، فقرأ، فقال ناظر المدرسة: ما شاء الله. ثم قال والده للناظر والمدرسين، إنه يحفظ الكثير من الشعر في هذه السن، لا يعرف معنى الذي يحفظه، ولكنه يحفظ وينطق نطقًا سليمًا وهوقادر على أن يحفظ أية كمية من الكلام الجيد، ثم عرج والده إلى الشعر فأسمعهم من شعر (طرفة بن العبد)، و(امرؤ القيس)، و(زهير بن أبي سلمى) و(المتنبي).وهنا وقف الناظر واقترب منه وقبله، وقال له: كفى يا ولدي بارك الله فيك. فلم نكن نعرف عنك كل هذا! واقترب منه أحد المدرسين وهو يقول له: «أنت أستاذ». «أنت لست تلميذًا!»[1].ولك أن تتعجب حينما

(١) عاشوا في حياتي – أنيس منصور.

تعلم أن يكون هذا المدرس الذي قال له هذا الكلام، هو نفسه مدرس الإنشاء الذي أعطاه صفرًا واتهمه بالسرقة! ومن يومها شعر (أنيس منصور) أنه مختلف عن غيره، حينما سمع من الناظر ومعلمه هذا الثناء الذي هو تحفيز عظيم على مواصلة الحفظ والاتقان والتميز، ومع أستاذ آخر في حياة (أنيس منصور) وهو المرحوم الدكتور (شوقي ضيف) الذي وصفه أوصافًا طيبة كأروع ما يصف تلميذ أستاذه فيقول: كان يدرس لنا الشعر العربي القديم د. (شوقي ضيف) وهو رجل رقيق خجول وكان مختلفًا عن الأساتذة الآخرين وكان مجتهدًا ويشجعنا على أن نفعل ذلك، وأمام هذه الرقة والأدب والخلق الرفيع لم يفت الدكتور(شوقي ضيف) أن يكتمل أدبه وتتجمل ذاته بإيجابية النفس والقدرة على دفع المواهب وصقل القدرات بالتشجيع والتحفيز لطلابه وتلاميذه، لقد كان نعم المعلم، ونعم الموجه؛ حيث طلب من أنيس وزملائه يومًا مقالًا عن (أبي تمام) ونصحه العقاد في ذلك الوقت أن يكتب بحثًا عن الذاتية والموضوعية في شعر (أبي تمام) واستطاع (أنيس) أن يُطبق عليه الفلسفة الألمانية فأخذ ما قاله الفيلسوفان «فيخته» و «شيلنج» في التفسير الفلسفي والوجداني لقصائد (أبي تمام).

وبعد الانتهاء منه، قرأه أنيس على زملائه فلم يستحسنوه فوقع في قلبه أنه لا يمثل شيئًا فلما جاء الدكتور (شوقي ضيف)؛ طواه وسلمه إياه دون أن يكتب عليه اسمه خوفًا أوسهوًا أوقلقًا من محتواه، وفي اليوم التالي جاء د. «شوقي ضيف» ووزع المقالات على الطلاب، وقد كتب ملاحظاته على كل مقال منها، وكان من أسلوبه التربوي التحفيزي كما قال عنه أنيس: أنه لم يكن يسفه أحدًا، وإنما كان يعلن ملاحظاته وتوجيهاته في رقة وأبوة.

وبعد أن انتهى من توزيع المقالات، يصور (أنيس منصور) هذه المفاجأة غير المتوقعة وهي إعجاب أُستاذه بمقاله الذي رفضه الطلاب بالأمس واستسخفوه وليت الأمر يقف عند الإعجاب وحده، وإنما استطاع الدكتور شوقي أن يمنح أنيسًا دفعة قوية من الأمل والتشجيع تقوده نحو مستقبل باهر وتغرس في نفسه ثقة لا حدود لها، حيث وقف الدكتور ضيف وقال: من الذي كتب مقال (الذاتية والموضوعية في شعر أبي تمام) فهو لم يضع اسمه على المقال؟،فرفع «أنيس» يده، فقال له د. «شوقي»: أهنئك على هذا المقال وأتوقع لك مستقبلًا عظيمًا في الأدب والفلسفة فهذه أول محاولة لدراسة (أبي تمام)

فلسفيًا، وعندما تدرس وتتعمق في الأدب والفلسفة فسوف يكون لك شأن كبير، أهنئك! يقول أنيس وهو يصف هذه الحادثة: «وكان ذلك أول تكريم علني وأول نبوءة من أستاذ لتلميذه! «إن الأساتذة الحقيقيين يمتازون بالقدرة على اقتناص المواهب ومن ثم وضعها في مسارها الصحيح الذي يلائم عناصر قوتها وتميزها، وتوجيهها في المسار الذي تؤتي فيه ثمارها اليانعة.

فقبلَ قُرابةِ ستينَ عامًا كان هناك طالب بريطاني لم يكنْ يميزه عن أقرانه شيء! كان مستواه متوسطًا، وكان أساتذته لا يرون منه إلا جانبه الشقيّ، وحدَهُ أستاذ الرياضيات التركيّ (ذكران طه) هو الذي لاحظ أن وراء هذا الوجه المشاغبِ عقلًا رياضيًا فذًا، فصرف همتَه لتطويره وترقيته وتحفيزه وتشجيعه؛ وكانت نتيجة هذه الفراسةِ أن التحق الطالبُ الذي ظنه أساتذته متوسط المستوى بجامعة أكسفورد، وحصل منها على درجة الشرف الأولى في الفيزياء، ثم أكمل دراسته في جامعة كامبردج حتى حصل على الدكتوراه في علم الكون..لم تتوقف المسيرة وظلَّ هذا الرجل يُتحف الساحة الفيزيائية والرياضية والفلسفية بإبداعاته التي كان على رأسها كتابه الشهير: (تاريخ موجز

للزمن)، الذي بيع منه أكثر من ١٠ ملايين نسخة! وعده بعضهم ثاني أكثر كتاب قراءةً في أوروبا بعد الإنجيل، إنّه (ستيفن هوكينج) أشهر علماءِ الفيزياء اليوم، وأحدُ أعظمُ عباقرةِ العالمِ، وشاغلُ (الكرسي اللوكاسيّ) للرياضياتِ الذي شغله من قبل العالمُ العظيم: (إسحاق نيوتن)، إن هذه العبقرية لتدين بالفضل لمن لمس فيها ابتداء سمات التفوق والألمعية إنه المعلم التركيّ الذي انتشل هذه الموهبة الفذة ووضعها في الطريق الصحيح!

• • •

صناع العبقرة

هل تعلم أن (نجيب محفوظ) هذا الأديب الكبير الذي حصل على نوبل، عانى في بداية حياته إعراضًا واستنكارًا ولم يكن أحد يُدرك موهبته وكانوا يرفضون أعماله ورواياته، ولا يرون أدبه حفيًا أن يظهر للناس أو يطبع على الورق، وكان مصير إبداعه دومًا إلى الدرج — درج المكتب – الذي يتسع لكل ما أبدع قلمه حينما ضاق به الآخرون! لكن نجيب لم ييأس ولم يُصبه الإحباط، وواصل الكتابة والإبداع لإيمانه بأن اللحظة المناسبة لم تأت بعد، وإيمانه أكثر بأنه مبدع، ظل (نجيب محفوظ) على هذا المنوال حتى التقى بـ(سلامة موسى) وعرض عليه رواياته، عساه أن يجد فيها ما يعجبه فيقوم بنشره، لكن (سلامة موسى) لم تعُجبه رواياته، وفي الوقت نفسه أدرك موهبته التي تحتاج إلى تحفيز وتشجيع، فنصحه بأن يستمر في الكتابة حتى يصل للأسلوب المنشود الذي يرقى للنشر ويُعجب القراء. ودار بينهما هذا الحوار:

«سألني هل تكتب روايات؟ قلت: نعم..تساءل:هل نشرت؟ قلت: لا بالطبع، ولكني أكتب لنفسي ولا أدري ما إذا كان ما أكتبه يستحق النشر أم لا؟ وطلب مني أن يطلع على شيء مما أكتبه، وفعلا أطلعته على بعض ما أكتبه، فكان يقول لي: أنت تملك موهبة روائية، ولكن هذه الكتابات لا تصلح للنشر، وقد كرر على مسامعي هذا الكلام مرارًا! قرأ لي أربع روايات، أو بمعنى أصح أربع تجارب في الرواية، وفي كل مرة كان يقول لي: لا تصلح للنشر ولكن استمر، لابد أن تستمر، في انتظار رواية أخرى منك، إلى أن جاء يومٌ آخر من أسعد أيام حياتي: ذهبت له برواية (عبث الأقدار) وحين قرأها فاجأني: هذه تصلح للنشر، وحجزها لديه، وكانت فرحة لا تُقدر حينما قال لي: سوف أطبعها وأقدمها هدية من المجلة الجديدة، في إجازتها السنوية، وكانت لهذه المجلة إجازة شهران، تعطي للمشتركين فيها كتابًا بدلًا من المجلة! لحظتها لم أصدق ما أسمع، غير أني كنت أثق في كلام الرجل، مع هذا ظللت لا أصدق نفسي حتى فوجئت به في أحد الأيام يقول لي بهدوئه المعتاد: اذهب للمطبعة وصحح روايتك، جريت إلى المطبعة وفرحة الدنيا لا تسعني، وكانت أول رواية تنشر لي»[1]

(١) أنا نجيب محفوظ ..د/عبد العزيز ابراهيم

لم ييأس نجيب محفوظ مما واجهه من إعراض الناشرين، لأنه كان يعشق الأدب ويعيش له، حتى وجد من يُشجعه ويُؤجج مواهبه، إن إعراض الناشرين كان يواجهه إصرار عجيب، لأن بين الضلوع موهبة تلح عليه وتفرض نفسها على رغباته، تمامًا كهذا الروائي الذي ضحى بكل شيء من أجل موهبته، وقرر أن يكون قصاصًا شهيرًا فاستقال من وظيفته، وتفرغ لكتابة القصص وليس لديه أي مورد للرزق غير هذه الكتابة، إنه (أرسكين كالدويل) كان يكتب من الصباح حتى آخر الليل، ويرسلها بالبريد للمجلات أملًا في نشرها، وأن ترسل له أجرها. ومضت عليه شهور وفترات طويلة لم تُنشر له قصة واحدة، وعرضت عليه بعض المجلات، أن يكتب لها عرضًا للكتب الجديدة، ولم يكن أجره من ذلك إلا الاحتفاظ بهذه الكتب التي ترسلها له، وراح يكتب ويجمع الكتب وكلما تجمع له بعضها قام ببيعه بربع الثمن لكي يشتري بثمنه الخبز وطوابع البريد والورق والآلة الكاتبة، وكان يقوم بزراعة حديقة بيته البالي المتهدم بالبطاطس ويأكل منها.

ومع مرور الأيام امتلأت عنده حقيبتان كبيرتان بالقصص القصيرة، التي كتبها وأرسلها بالبريد، إلى المجلات المختلفة

وأعادتها له معتذرة عن نشرها، ظل هكذا في معاناته وأخيرًا وبعد ست سنوات من الكتابة اليومية من الصباح حتى منتصف الليل، نشرت له إحدى المجلات قصة وأرسلت له ثمنها عشرة دولارات، فكانت هذه المفاجأة أكبر دافع له على مواصلة الكتابة التي انفرج لها باب الأمل، وكتب أولى رواياته ونشرها، كما اختيرت قصة من قصصه للفوز بجائزة أدبية ومبلغ ألف دولار، فلم يصدق! وكاد أن يغمى عليه ليس لأن المبلغ المالي كبير ولكن لأن هذه القصة تحديدًا رفضت أن تطبعها ١٢ مجلة أرسلها لها بالبريد..واحتفل بالفوز وتناول أول وجبة لحم مشوي له ولأسرته منذ أكثر من سنة، وظل يكتب بلا توقف وأصبح مشهورًا، وله روايات تحولت لمسرحيات تُدر عليه عشرات الألوف من الدولارات أسبوعيًا، ووجدت السينما الأمريكية في أعماله مادة غنية لأفلامها، وانتشرت إبداعاته في المجلات والصحف والمسارح، واستطاع بعد صبر وكفاح أن يسترد قيمته الأدبية التي حاولت هذه المجلات الآسفة أن تشككه فيها! لقد كان للنشر سحره في صنع العباقرة وإبهاج نفوسهم لتتفتح فيها نسائم الإبداع.

في حياة الأستاذ الكبير الشيخ الأديب (علي الطنطاوي)

من سخر من أحلامه واستهزأ بطموحاته فقد كان يقول: « لقد كان رفيقي (سعيد الأفغاني) يمد شفتيه ساخرًا كلما حدثته عن آمالي في الحياة ورغبتي في أن أكون كاتبًا يُشار إليه بالبنان» لكنه انطلق في مسيرته غير عابئ بسخرية سعيد وشفتيه الممدودتان، فقرأ لكثير من الأدباء كـ «المنفلوطي» و«الزيات» و«الرافعي» وغيرهم، وأحس عقب هذا بأشياء تجيش في نفسه، فنفس عنها بمحاولة الكتابة، فاستوى له مقال قرأه على رفيق له فاستحسنه وعرض عليه أن يسعى لنشره، فاستكبر الطنطاوي هذا الأمر، ولكن صديقه ألح عليه، وما أبعد البون بين هذا الصديق المشجع وبين الصديق الأفغاني المثبط، فذهب إلى دار «المقتبس»، والتقى بالأستاذ (أحمد كرد علي) صاحب الجريدة، ودفع إليه المقال، ولم يكن النشر في ذلك الوقت أمرًا سهلًا أوميسورًا للمواهب الشابة وحينما تسلم الأستاذ (أحمد كرد) مقاله نظر فيه فرآه كلامًا مكتهلًا ناضجًا، ونظر إلى الطنطاوي فرأى فتىً صغيرًا فعجب أن يكون ذاك من هذا! وكأنه لم يصدقه، فاحتال عليه حتى يمتحنه بشيء يكتبه أمامه، وزعم أن المطبعة تحتاج إليه ولا يصح تأخيره، فأنشأ له الطنطاوي إنشاء من يسابق قلمه فكره فازداد عجبه منه ووعده بنشر المقال ..يقول الشيخ

الطنطاوي: « فخرجت من حضرته وأنا أتلمس جانبي، أنظر هل نبتت لي أجنحة أطير بها لفرط ما استخفني السرور، ولو أني بويعت بإمارة المؤمنين ما فرحت أكثر من فرحي بهذا الوعد، وسرت بين الناس وكأني أمشي فوق رؤوسهم تعاليًا وزهوًا، وما أحسبني نمت تلك الليلة ساعة، بل لبثت أتقلب على الفراش أتصور أي جنة من جنات عدن سوف أدخل في غداة الغد، أي كنز سأجد، وجعلت أترقب الصباح كعاشق متيم ينتظر وصلًا بعد طول الهجران، حتى إذا انبثق الصبح وأضحى النهار، أخذت الجريدة، فإذا فيها المقال وبين يديه كلمة ثناء لو قيلت للجاحظ لرآها كبيرة عليه.»..

وأمام الموقف كان من الوارد أن يعرض عنه الأستاذ (أحمد كرد)، فهو رجل صاحب جريدة ومسؤول، وليس لديه وقت ليشغله مع فتى صغير من المؤكد أنه لا يحسن الكتابة، لكن الأستاذ (كرد علي) كان على خلاف ذلك، فقد كان ممن يؤمنون بالتشجيع ويعرفون أثره العميق على النفوس، ويخشى إن هو أعرض عن هذا الفتى أن يطفئ في نفسه هذا الحب الوليد للكتابة، ولكن هناك شك كبير يمسك بتلابيب نفس صاحب الجريدة، ولكي يعالج هذا الشك العالق به، كان ولا بد من هذه الفكرة التي لا مناص منها وهي اختبار الفتى حتى

يظهر البرهان إن كان المكتوب ملكه وإنتاجه أم احتال به وسطا عليه من أحد الكتاب! ونجح الشاب (علي الطنطاوي) في الاختبار، وكانت هذه هي البداية لمشوار الكتابة، وبلغ الطنطاوي ما بلغ، وصار من كبار العلماء والأدباء، حتى قال فيه الشيخ (القرضاوي): «كان مشعلًا من مشاعل الهداية ونجمًا من نجوم التنوير ولسانًا من ألسنة الصدق وداعية من دعاة الحق والخير والجمال.»

وفي قصيدة تحت عنوان (بشائر الفوز) رثاه الشاعر (أحمد الصديق) فقال:

شدا بفضلك أهل العلم والأدب

فاظفر بما شئت في الفردوس من رتب

إذا تحدثت ناجيت القلوب فما

في الحاضرين فؤاد غير منجذب

• • •

أيتها الظروف .. حفزيني

بعض الظروف تقوم مقام المشجعين والمحفزين وتستخرج المواهب والقدرات من النفوس أفضل مما لو اجتمع عليها آلاف الخبراء والمنظرين في علم التنمية البشرية الذين يعجزون عن بلوغ درجتها ونتيجتها وقدرتها.

إن كثيرًا من المواهب قابعة في النفس، تكمن في وجدان الإنسان، وربما لا يدري بها أويعلم بوجودها أويدرك أبعاد رغبتها في الظهور، وكم يدهشنا القدر حينما نرى كثيرًا من هذه المواهب تندفع لطريقها في الحياة دون تعمد من أصحابها، حينما ساقتهم إليها الأحداث والظروف والأقدار دون قصد أومعرفة أوتخطيط.

حدثني أحد أصدقائي الخطاطين البارعين بلغ في عالم الخط حدًا كبيرًا من إتقانه ورسمه، مما أهله للفوز بالمراكز الأولى في

مسابقات كثيرة وكبيرة أدرت علي مبالغ جيدة من المال، وأن هذا الاهتمام والتوجه لعالم الخط، لم يكن الدافع إليه إلا مجرد ظروف وصدفة عادية غير متعمدة أومدبر لها، حين رأيت صديق أخي في مرة من المرات وهو يكتب بالقلم الحبر على شرائط الكاسيت فأحببت أن أحاكيه وأقلده، ثم شيئًا فشيئًا تعلقت بالموضوع، وتطور بي الأمر لدرجة العشق والهوس بالخط العربي، حتى صرت على ما أنا عليه الآن! ولئن كانت الظروف قد فعلت فعلها الساحر في استخراج هذه المواهب وهي التي لا تعتمد على تحفيز أوتشجيع ؛ وإنما تشق سبيلها بالصدفة الغريبة، فكيف بنا لوحاولنا التنقيب عما بداخل من حولنا من المواهب ومحاولة استخراجها لساحة النور؟ لاشك أننا سنستخرج كثيرًا من اللآلئ الدفينة والجواهر المخفية. لقد لعبت مثل هذه الصدف والظروف الغير متعمدة لعبتها مع رجل له بصماته في عالم الصحافة العربية بل هو أميرها ورائدها ومن أوائل البارعين فيها.. نعم هذا حدث في حياة أمير الصحافة الأستاذ (محمد التابعي) الذي وجد نفسه كما قيل: متورطاً في عالم الصحافة والقلم دون إصرار منه على ذلك، فالمسألة كلها كانت صدفة وضعته فيها الظروف، ففي يوم من الأيام قرأ التابعي هجومًا من صحيفة الاحتلال الانجليزي

(الإيجيبشيان ميل) على أسلوب المظاهرات الشبابية المعادية للإنجليز في أحداث ثورة ١٩١٩، مما أثار حفيظته وغضبه ولم يدر بنفسه إلا وهو يكتب بقلمه أول مقال له بالإنجليزية ينتقد فيه رأي الصحيفة، ثم كانت دهشته الكبيرة عندما نشرت الجريدة مقاله و ياليت هذا فحسب، وإنما نشرته في مكان بارز مع تعليق عليه.. كانت هذه هي الخطوة الأولى التي تشجع بعدها التابعي ليكتب رسالة أخرى ويبعث بها إلى ذات الصحيفة، وكانت عن الموظفين الإنجليز الذين يستنزفون أموال الدولة ولا يقومون بأي عمل، ويعلق على هذا المقال بقوله: (لم يكن لدي في الحقيقة أي أمل في نشر تلك الرسالة، ولكنني فوجئت بأن الجريدة نشرتها في مكان بارز أيضًا)..أدرك التابعي وقتها أنه من الممكن أن يستمر، وأنه من الممكن أن يكون كاتبًا وأن هذه الصدفة أو الأحداث التلقائية التي دفعته لهذه الراسلة كانت مشجعًا كبيرًا ودافعًا له ليستأنف الكتابة ويلج عالم الصحافة ويواصل كتابة رسائله عن الإنجليز واستبدادهم في مصر واحتكارهم للوظائف الهامة في الدولة، وكانت رسائله تنشر تباعًا بتوقيع (M.T.M)، وهي الحروف الأولى لاسمه الثلاثي، إلى أن تكونت صداقة بينه وبين مستر (أوفارول) رئيس تحرير الجريدة، وهو الذي دعاه ذات ليلة لمشاهدة مسرحية

«غادة الكاميليا» ل «يوسف وهبي» و«روز اليوسف» بمسرح رمسيس، ولما انتهى العرض كان للتابعي تعليقه الفني على المسرحية وأداء الممثلين وهوما أعجب (أوفارول) وطلب منه أن يكتب مقالًا ناقدًا للمسرحية لنشره في مجلة «سفنكس» التي كان يشرف عليها بجانب «الإيجبشيان ميل»، وانزعجت فرقة رمسيس من النقد، وكلفت جريدة «النظام» بالهجوم على ما كتبته الصحيفة الإنجليزية، ولما قرأ «التابعي» الجريدة رأى أن يرد عليها بأول مقال له بالعربية، نشره في جريدة «السياسة» لحزب الأحرار الدستوريين، ويقول عن ذلك: «هكذا بدأت أدخل بلاط الصحافة عن طريق الهواية»، وفي عام ١٩٢٤م يكتب في الأهرام ليكون دخوله الحقيقي والجدي لعالم الصحافة حيث كتب فيها مقالات فنية في النقد المسرحي تحت اسم مستعار، ثم شجعه النشر في الأهرام على الكتابة لعدد من الصحف مثل (أبوالهول والسياسة والنظام والإيجبشيان ميل) وبنفس الإسم الوهمي (حندس)، وكان يوسف وهبي يعجب بمقالاته، وينتظرها حتى وهي تهاجمه وتنتقده، ووصف كاتبها التابعي بقوله: «أنه يسقيني السُم في برشامة!»

وهكذا بدأ مشوار «التابعي» الذي صار أمير الصحافة، لقد

كان موهوبًا وصاحب قلم جريء وقوي، لكنه لم يكن يعرف ذلك من نفسه ولم يكن يدر حجم مواهبه وقدراته التي تتقد بين ضلوعه وتكمن في ثنايا أنامله حتى جاءت الأقدار، ومنحته من عطائها وامتدادها، وشاء الله للظروف وحدها أن تُخرج هذه الموهبة وتظهر هذا القلم العبقري دونما مشجع أومحفز.. ما أسعد هذه المواهب التي اكتشفتها الظروف وساعدت في إخراجها، وما أتعس ألوف المواهب التي لم تصادقها مثل هذه الظروف التي تحفزها وتوقظ فيها أشعة الإبداع.

• • •

اليتيم الذي جالس الملوك

رحل أبوه عن الدنيا وتركه يتيمًا وحيدًا ليس له إلا أمه الفقيرة المسكينة التي جعلت منه أملها في العيش وكسب القوت! أرادت الأم أن يتعلم هذا الصبي مهنة تُدر عليه وعليها ما يكفيهما ويصونهما في الحياة، ولا سبيل لهذا إلا أن تذهب به ليتعلم مهنة في صباه، فكانت تذهب به إلى القصار[1] ليعاونه ويتشرب مهنته، ولكن الفتى الناشئ، كان له هوى آخر ورغبة مختلفة.

إنه يحب العلم والعلماء ويهوى دروسهم، فكان يفر من القصار ويحضر مجالس (أبي حنيفة النعمان) وكان أبوحنيفة يشجعه ويحفزه ويُعنى به لما يرى من حرصه على العلم، وتأتي الأم مهرولة وراءه حتى ترده إلى القصار..ويكرر الهروب مرة

(١) القصار: هوالمبيض للثياب وهوالذي يهيئ النسيج بعد نسجه ببله ودقه بالقصيرة وهي خشبة

أخرى، وتكرر الأم رده، ولما ملت منه ذهبت لأبي حنيفة وقالت له: «هذا غلام يتيم وليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي، فدعه يكسب دانقاً[1] كل يوم يعود به على نفسه.»

فقال لها أبوحنيفة: «إني أرى في ابنك عقلًا فدعيه يطلب العلم، وما يُدريكِ لعله يأتي يوم فيأكل الفالوذج بدهن الفستق[2].» إن أبا حنيفة لم يشجع الفتى نفسه وإنما حفز أمه أيضًا أن تهتم به وتدفعه لطريق العلم الذي سيصير فيه من كبار رؤوسه.. من يقول هذا هوإمام المسلمين (أبوحنيفة) صاحب العقل الجبار والفكر الوقاد، والبصر النافذ، ولا يمكن للأم أبدًا أن تخرج هذه الكلمات من مثل (أبي حنيفة)، ولا تجد صدىً في وجدانها، وهي التي تبحث عن مصير في هذا الدنيا لغلامها اليتيم؛ بل لا يمكن أبدًا لهذه الكلمات أن يسمعها غلام صغير من فم هذا الإمام الكبير، دون أن يجد الهمة العالية في نفسه تحصيل علمه والأخذ عنه والاجتهاد في درسه، ولم يقف أمر هذا المشجع الكريم عند حد الكلام فحسب؛ بل تعداه ليشجعه بالمال أيضًا، فمد أبا يوسف وأمه بماله حتى يُعينهم

---

(١) الدَّانِقُ: سُدسُ الدرهم.

(٢) وهي أكلة في ذلك الزمان لا يأكلها إلا الخلفاء والوجهاء لندرتها وغلوثمنها.

على الحياة، ويوفر لهذا الغلام حياة طيبة يستطيع معها أن يتقوى على طلب العلم.

يقول أبويوسف: « فجعلت أتعاهد مجلس أبي حنيفة، وفي أول يوم أتيته جلس معي حتى انصرف الناس، فدفع لي صرة فيها مائة درهم، وقال لي: الزم الحلقة وإذا نفذت هذه فأعلمني، فلزمت مجلسه فلما مضت مدة يسيرة دفع لي صرة أخرى فيها مائة درهم، ثم كان يتعاهدني فما ترك لي خلة فنفعني الله بعلمه، حتى تقلدت القضاء زمن الخليفة الأموي، ثم في زمن «هارون» صار لقبي قاضي القضاة، لأني كنت أرسل القضاة إلى الأقاليم، وكنت أجالس الرشيد فبينما أنا ذات يوم عنده، إذ أوتيَّ بطعامٍ فقال لي: كُلْ من هذا يا أبا يوسف، فإنه لا يُصنع لنا في كل وقت قلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفالوذج بدهن الفستق! فتبسمت: فقال الرشيد: مالك تبتسم؟ فقلت: لا شيء أبقى الله أمير المؤمنين وألح عليَّ وقال تخبرني، فقصصت عليه القصة فقال: «إن العلم ليرفع وينفع في الدنيا والآخرة»، ثم قال: رحم الله «أبا حنيفة» لقد كان ينظر بعين عقله لا بعين رأسه»[1].

(١) القصة ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.

كم من النوابغ تأكل الحياة نبوغهم، لأنهم لم يجدوا من يرعاهم ويوفر لهم لقمتهم، فتفترسهم الحياة بهمومها وأتراحها، وتصهرهم بأتونها بحثًا عن القوت والرزق.. إنه معترك الحياة الذي وجد فيه أبويوسف من يُعينه عليه ويصد عنه لسعه وعاصفته، وأنقذ أبوحنيفة هذا الفتى النابه، لينفع به الدين والدنيا، ولكن قل لي بالله عليك «ماذا لولم يكن هناك مثل هذا الإمام الإنسان ماذا ساعتها سيكون مصير أبي يوسف؟!» لاشك أنه سيكون مجرد قصار لا يسمع به أحد، ولا يُذكر من أمره خبر! أو لعله يلقى في طريقه مثبطًا مقنطًا في ثوب ناصح أمين، يردعه عن رغبته، ويحثه على حرفة القصارة حتى يُحصِل منها قوته ويأكل بها عيشه، وكان من الممكن أن ينجح ذلك المثبط في إثناء الفتى عن أمله ورغبته لوأنه لعب على وتر آخر، وألهب في فؤاده عاطفته نحو أمه الفقيرة الضعيفة، التي تنتظر منه المال والكسب، لكن الله تعالى أراد به وبأمه الخير في رعاية الإمام الرحيم، وتمُر الأيام ولا يزال أبوحنيفة يمدح أبا يوسف ويلمح نبوغه، ويحبب إليه العلم والفقه، وفي يوم ما مرض (أبويوسف) حتى كاد أن يهلك، فذُكر ذلك للإمام أبي حنيفة، فأمر طلابه أن يصحبوه حتى يعودوا «أبا يوسف» فلما دخل عليه «أبوحنيفة» ورأى ما به من مرض شديد،

قال لما خرج من عنده: إني كنت أرجو لهذا الشاب أن يكون له شأن عظيم في العلم، فذهب أحد أقران الشاب وذكر له مقولة الإمام فيه، وبعد فترة من الوقت شُفيَّ أبويوسف، فخرج يمشي ذاهبًا إلى حلقة أبي حنيفة فلقيه رجل بالطريق فقال له: إن الإمام «أبا حنيفة» قال عنه كلامًا طيبًا، فدار في نفسه أنه أصبح عالمًا، فقرر أن يجعل له حلقة خاصة في المسجد نفسه الذي فيه شيخه «أبوحنيفة»، فرأى الشيخ من بعيد «أبا يوسف» ولم يعرفه، إذ يظنه ما زال مريضًا، فقال: هل نزل علينا شيخ، فقال تلامذته: لا، فقال: إذا من ذاك الشيخ الذي يجلس هناك، فأخبروه أنه تلميذه «أبويوسف» قد شُفي، فقرر الإمام «أبوحنيفة» أن يرد غروره ويُبين له أنه مازال طالب علم، فأرسل أحد طلابه للجلوس في حلقته وأن يطرح عليه مسألة أملاها له، فقال التلميذ لـ «أبي يوسف»: «ما قولك في رجل أعطى ثوبه لخياط لتقصيره فلما رجع الرجل ليأخذ ثوبه قال صاحب الخياط: إنه لم يأخذ منه الثوب، ثم أحضر رجالًا واكتشفوا وجود الثوب لديه، وقد قام بتقصيره بالفعل، هل يعطي الرجل أجرة الثوب للخياط أم لا؟»

فقال أبويوسف: نعم يعطيه لأنه قصره..فقال له التلميذ:

ولكنه كان ينوي سرقته..قال: أبويوسف إذًا لا يعطيه أجرًا.

فقال له: التلميذ لقد أخطأت.. وبذكائه قال «أبو يوسف» للتلميذ: من أرسلك؟! فقال: الإمام أبوحنيفة..فذهب أبويوسف لشيخه وقال له: يا شيخ أريد أن أسألك في مسألة، وحكى له المسألة نفسها فتجاهله الإمام ثم عاد وكرر سؤاله، فأجابه الإمام: إن كان الخياط قص الثوب على طول الرجل، فهولم يكن ينوي سرقته قبل تقصيره، وإن كان قد قصر الثوب على مقاس الخياط نفسه فقد كان ينوي سرقته قبل تقصيره.. وبهذا الأسلوب الرفيق اللين، أوصل الإمام رسالته لتلميذه، حتى يستمر في طريقه الصحيح ولا يتعجل الثمرة قبل أوانها، فهو مازال طالبًا للعلم، أما الدرس فلا يتقلده إلا من كملت عدته.

وقد نجد بعضًا من الأساتذة والمعلمين من يصيبه الحنق والغضب والحقد على تلاميذه، لو رأى من بعضهم بوادر تفوق أوذكاء، وربما بعض الغرور؛ فيتحامل عليهم ويعمل على هدمهم وتعقيدهم، ولو كان بيديه لمحاهم جملة من طريق العلم، لكن «أبا حنيفة» كان إمامًا جليلًا راقيًا، ولم يكن مريض النفس خرب الإيمان، بل كان هو نفسه ثمرة من ثمار

التشجيع، فقد كان أبوه تاجرًا كبيرًا وكان يعمل معه ويساعده وهوصبيّ، فيحاور التجار الكبار، ويتعلم أصول التجارة وأسرارها، حتى لفت نظر أحد الفقهاء فقال له: عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فإني أرى فيك يقظة وفطنة، ومنذ ذلك اليوم وهب أبوحنيفة نفسه للعلم واتصل بالعلماء، ولم تنقطع تلك الصلة حتى آخر يوم في حياته.

• • •

أخرجوا كنوزكم الدفينة

أشرتُ فيما سبق أن كثيراً من المواهب والقدرات والعبقريات مدفونة بين حنايا النفوس لا يدري بها أحد أويفطن إليها ناظر، حتى صاحبها ذاته قد لا يشعر بوجودها في نفسه، ولا يكاد يسمع شيئًا من أزيزها الخافت حتى يواتيه القدر بظروف وأحداث تظهر بصيصها الذي يلفت الأنظار ويسترعي الانتباه ليقوم الإنسان بدوره في استخراجها وبعث مواكبها لواقع الحياة فتقدم إبداعها الفريد وتضيف من تألقها الجديد.. ومن هنا تفرض علينا المسؤولية أن نُعمل بصائرنا فيمن حولنا، نُفكر في أحوالهم وميولهم ورغباتهم وما يهوون ممارسته، فنحاول تطويره وتنشيطه واستخراجه من خبائه فربما يكون وراءه بركان عاصف من العبقرية السامقة.. ولعلنا هنا نذكر سيرة كاتب كبير ومؤلف عظيم وعالم نِحرير ألمعيّ، طافت كتبه المشارق والمغارب وتُرجمت إلى لغات العالم، وكان لها أثرها البيِّن في

مسيرة العمل الإسلامي على مدار عقود طويلة، ورغم ما نالته هذه المصنفات التي فاقت المائة كتاب، والتي تدل على موهبة كاتبها، إلا أننا نتعجب أشد العجب حينما نعلم أنه بدأ فيها متأخرًا ولم يكن يدري بوجودها في أعماقه ولم يفكر يومًا أن يكون من أصحابها!

ففي عام ١٩٥٩م كان المفكر الكبير الدكتور (محمد البهي) يعمل مديرًا عامًا للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف، وفي هذا التوقيت تحديدًا قُدر للشاب (يوسف القرضاوي) أن ينتقل من الأوقاف للأزهر ليعمل مع الدكتور (البهي) وينال حبه وتقديره، وكان (البهي) يخصه بما لم يخص به غيره من المودة والقرب، وكانت تدور بينهما كثيرًا من المناقشات العلمية في المسائل الفقهية، إلى أن وردت إلى وزارة الخارجية المصرية من بعض سفراتها في أوروبا وأمريكا احتياج المسلمين في الخارج إلى كتب علمية ميسرة معاصرة في ثلاثين موضوعًا في المعاملات والآداب والأخلاق، وكان من هذه الموضوعات ما جاء تحت عنوان (ما يحل للمسلم وما يحرم عليه)..ووقع اختيار (البهي) على (القرضاوي) وأسند إليه موضوع (الحلال والحرام)، إن تأليف مثل هذا الكتاب مهمة صعبة، فمفرداته مبعثرة في

أبواب الفقه الاسلامي ومن الصعب نظمها في كتاب واحد، لكنه بدأ الشروع فيه وألهمه الله حسن تبويبه وتقسيمه وتنظيمه وصياغة مسائله بأسلوب عصري ميسر، وطرحها باعتدال وتوسط بعيدًا عن التشدد والتعسير حتى أتمه في أربعة أشهر ونجح في الاختبار، وقدمه للبهي مكتوبًا بخط اليد وأحاله (البهي) للمراجعين وعلى رأسهم الدكتور (محمد المبارك) عميد كلية الشريعة في سوريا؛ الذي أثنى على طريقة تأليفه وحسن أسلوبه وطريقة معالجته للمسائل وتوخيه للاعتدال فيما اختار من آراء، لقد كان التكليف مفاجأة فلا عهد للقرضاوي بالتأليف وتصنيف الكتب، ولكنه كان على موعد مع أول كتبه والذي كان بداية الغيث ومهد الانطلاقة في عالم التصنيف، والذي لم يكن ليطرق بابه لولم يلمح فيه (البهي) حبه للفقه ومسائله!

لقد كان القرضاوي يكتب بعض المقالات في مجلة منبر الإسلام بحكم عمله مع شيوخ الأزهر الكبار، أما أن يؤلف كُتبًا. وفي الفقه .. فهو مالم يجل بخاطره أو يمر بخياله يومًا من الأيام.. لقد كانت الموهبة قوية في نفسه متأصلة في ذاته، لكنه لم يكن يدر بها أو يعلم عنها شيئًا حتى قدر للظروف

أن تكشف عنها وتخرجها للوجود. ولم تقف عملية التحفيز عند هذا الحد، وإنما كان هناك من يدفعه لهذه الموهبة الفذة والقدرة القوية، فيشجعه على الاستمرار، فحينما طبع الكتاب أخذ القرضاوي يهديه إلى العلماء وكان أولهم العملاق الضخم الشيخ (محمود شلتوت) شيخ الأزهر الذي نظر فيه وأثنى عليه وشجعه على المزيد، وأهدى نسخة للشيخ (أبوالوفا المراغي)، فأثنى عليه وقال: هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وأهدى ثالثة للعالم الجليل (محمد يوسف موسى) فقال له: «لقد كلف زميل لنا في هيئة كبار العلماء فاحتار ماذا يكتب في الموضوع وما أحسبه يهتدي إلى ما هداك الله إليه.. بورك فيك يا يوسف.»

وأهدى نسخة رابعة لشيخه في الدكتوراه (أحمد علي) فقال له: هذا الكتاب يستحق أن يكون رسالة دكتوراه، وأهدى نسخة إلى الشيخ (عبد الرحيم فودة) مدير تحرير مجلة الأزهر ولما قرأه لقيه يومًا وقال له: «أهنئك على منهجك الرائع وأسلوبك السلس وترجيحاتك الموفقة في كتابك.» ثم كانت نسخته لشيخه ومعلمه ومربيه (البهي الخولي) رحمه الله صاحب كتاب تذكرة الدعاة والذي قال له: «إن هذا الكتاب صدق نبوءتي

حين رأيت أن تتفرغ للعلم بدلًا من الشعر، وأن هذا لوحدث ستكون فقيه العصر، وأحسب أن هذا الوليد يحمل البشارة بتصديق نبوءتي.» وانطلق القرضاوي يهديه لقادة العمل الإسلامي خارج مصر فأرسل نسخة للشيخ (مصطفى الزرقا) في سوريا فلما قرأه قال لتلاميذه: «إن اقتناء هذا الكتاب فرض على كل أسرة مسلمة»، وللشيخ (علي الطنطاوي) الذي زكاه وقرر تدريسه في كلية الشريعة بمكة المكرمة، وأرسل كذلك نسخة للإمام (المودودي) في باكستان فلما وصله قال: «إنني أعتز بهذا الكتاب وأعتبره إضافة جليلة إلى مكتبتي.» ولعل هذه الدفعات الهائلة من التشجيع هي التي استكملت مسار الصدفة.. وزجت بالقرضاوي في عالم التأليف والتصنيف، فالعلماء والمفكرون الكبار لم يثنوا على الكتاب فقط، وإنما كانوا في حالة فريدة من الانبهار، بل إن العالم الإسلامي كله بطلابه وجامعاته ومسلميه تلقوه بالقبول وتسابقوا في اقتنائه، فلماذا إذن لا يستمر ويُقدم الجديد والنفيس والمبهر على نفس النهج وبنفس الروح والطريقة؟!

وهكذا بدأت مسيرة الموهبة والعبقرية تشق طريقها الذي ارتسم لها بعد أن كانت دفينة لا يدري أحد عنها شيئًا، كانت

فقط مجرد فكرة وتطورت مع التشجيع والتحفيز لينكشف الغبار عن أعجوبة فذة وعالم قدير، وكاتب نِحرير، بالتجربة تارة وبالتشجيع تارة أخرى..لقد كان من الممكن أن يعتذر القرضاوي للدكتور البهي عن هذا العمل ويُصاب بالفتور ويستثقل أمره ويستصعب الولوج فيه، أو يحتج بعدم خبرته بالتأليف والكتابة، ولكن المحاولة والتجربة والبدء فيما يراه الإنسان صعبًا كان له الفضل الكبير في هذا الكشف الهائل الذي كان خفيًا في النفس!

• • •

آباء مشجعون

انظروا لمواطن القوة ..ربما نجد من أبنائنا من تتدفق موهبته في تخصص ما، أو مادة من المواد.. لكنه ضعيف في مادة أخرى؛ فكيف يكون التصرف؟ وكيف يكون تعاملنا مع مواطن القوة ومواطن الضعف؟ بعض الناس وبعض العقول لا تنظر إلا للسلبيات فتفخمها وتعظمها وتبني عليها، إنهم لا يركزون إلا على مواطن الفشل ويعيدون فيها ويكررون حتى تصبح هي همهم الأكبر.. والشبح المرعب الذي يخيفون به أبناءهم ويهدمونهم من خلاله ويبددون به مستقبلهم وأحلامهم، ربما يكون ولدك قويًا موهوبًا في الرسم ضعيفًا في الرياضيات فلماذا نركز كل اهتمامنا على خانة الضعف ونذكره بها بين الحين والحين؟! بينما لم نستثمر حُبه للرسم وتفوقه فيه! والذي لو حدث لربما جاء منه عمل رائع وصار في يوم من الأيام رسامًا مشهورًا يُبهر الناس بأعماله ولوحاته!..

علينا أن نكون إيجابيين وننظر للنصف الممتلئ من الكوب، ولا نركز على السلبيات التي تقتل المواهب وتُفسد القدرات وتخلق الفشل في نفوس الناشئة، علينا أن نكون بنائين ونهرب بكل قوة من أي محاولة نقوم فيها بدور الهدامين، فلنكن بنائين إلى أبعد الحدود مهما كان الواقع أسودًا قاتمًا ومهما أحاط الفشل بنا وبمن نُحفزهم، لنجعل من البناء عقيدة نتمسك بها ونقدس حقيقتها ونصبر عليها، حتى تأتي اللحظة المرتقبة التي يعلو فيها صرح البناء وينطلق من كبوته فتشرئب الأعناق ساعتها لرؤيته، ويصوب النظر حدقته لعلوه وارتفاعه.

كذلك نجد من الآباء والمربين حينما تأتي نتيجة الطالب فيجدون موادًا مرتفعة درجاتها وأخرى متدنية، فيأخذ الراشدون منهم في التركيز على التفوق ومحاولة تنميته قبل أن يبصروا الضعف الذي لا يرى سواه إلا الأغبياء المتشائمين الهدامين فيبدؤون في اللوم والتبكيت والمعايرة والتعنيف والإشعار المستمر بالخيبة والفشل وسوء المصير، ومحو أية بادرة للتفوق وردت في ورقة النتيجة..إننا وسط هذه العتمة نجد أن هناك أمل، وهناك نجاح وهناك تفوق، ونجد دليلاً يناديا أن نتحرك لنأخذ بأيديهم وننميه فيهم ليصير منهم بعد ذلك شيء ذا بال.

يقول عالم النفس الفرنسي الشهير (مارتن سليجمان) مؤسس علم النفس الإيجابي رئيس جمعية أطباء النفس الأمريكيين (يجب أن لا تهدروا أوقاتنا في محاولة تصحيح عيوبنا في حين يكون باستطاعتنا اغتنام هذا الوقت في تغذية مواطن القوة فينا!) لقد كان هناك والد يتمنى أن يدخل ولده كلية الطب، ولكن الفتى لم يسعفه مجموعه ليحقق رجاء والده وأمنيته ودخل كلية متدنية، ولم يسع هذا الوالد الإيجابي إلا أن يشد من أزر ولده ويُحفزه ويملأ نفسه بالتشجيع المستمر حتى تفوق في كليته ونال الدكتوراه وأصبح محاضرًا في مدرجاتها! شيء مفزع أن يجهل الأب أو الأم أهمية التشجيع ويغفلان عن عباراته التي لها أكبر وأبلغ الأثر في التخطيط لمستقبل أولادهما ودفعهما نحو مستقبل مشرق، فهذه الجرعات من التشجيع أرى أنها ضرورية للأبناء تمامًا كجرعات التطعيم التي يأخذها الطفل فتضمن سلامة جسده وتجنبه الكثير من الأمراض، كما أن إغفالها جريمة في حقهم لأنها تعني الاهمال الشديد في تفعيل مواهبهم واكتشاف قدراتهم.

لقد كان والد الروائي التشيلي «أنطونيوسكار ميتا» صاحب الرواية الشهيرة «ساعي بريد نيرودا» رائعًا في تشجيعه وتبنيه

لهواية ولده الناشئ وهو التاريخ المبهر الذي يتذكره به ولده فيقول: «أنا أحب والدي جدًا لقد سألني أثناء السنة الأخيرة في الثانوية ماذا تريد أن تفعل بحياتك؟ فقلت له: أنني أريد أن أصبح كاتبًا، وبدلًا من أن يرسلني لطبيب نفسي احتضنني وقال: إنك اخترت خيارًا جيدًا للغاية، في ذلك الحين كنت أكتب على دفاتري بقلم رصاص، كان والدي يأخذ قصصي القصيرة إلى مكتبه ويقوم بطباعتها على آلة كاتبة «آندروود»، جمع ذات مرة جميع أعمالي وأرسلها إلى مسابقة للكتاب الشباب دون أن يخبرني، استنتجت ذلك فقط حينما قيل لي في الجامعة أنني فزت بالمركز الأول، حينما توفي أدركت أن غيابه قوة أبدية وكونية.»

لقد كانت القراءة هي متعة أديبنا الكبير الأستاذ (إحسان عبد القدوس) في صغره وحينما لمس فيه والده (محمد عبد القدوس) ذلك شجعه على القراءة، وأحضر له الكثير من قصص الأطفال حتي يتقرب إلى قلبه وهي التي صنعت خياله وجعلت منه الكاتب المرموق.

يقول الشيخ الشعراوي: «كان أبي يذهب للمحطة يوميًا وينتظر إلى أن يأتي القطار ويحضر منه الجريدة التي كانت كثيرًا

ما تنشر قصائد لشوقي، ويطلب مني أن أحفظ كل قصيدة يجدها، ويغريني بإعطائي ريالًا عن كل قصيدة أحفظها، ووقتها كان الريال حاجة كبيرة جدا.».. وعلى عكس هؤلاء كان الآباء المحطمون الذي يمثلون محاولة حزينة في حياة كثير من العباقرة والنبغاء حاولت هدمهم يومًا ما.

لا بأس من تحدي أي إنسان، فربما يكون حاقدًا عليك، أوحاسدًا لك، أولا يحب أن يرى غيره يرتقي سلم النجاح! كل هؤلاء من الممكن أن تسير في طريقك غير عابئ بهدمهم، وتستعين عليهم بالقريبين منك، الذين يساعدونك ويأخذون بيديك حتى تجتاز ما يرهقك، لكن المصيبة الكبرى والداهية التي لا منجاة منها، حينما تأتيك الضربة ممن يفترض أن يكون سندًا لك، وتنزل عليك كلمات اليأس والإحباط من والديك أو إخوتك أو الأقربين منك، وهو نوع من الإحباط صعب المجاهدة والتحدي.. لأن نظراتهم الهادمة، وكلماتهم الخانقة، تلاحقك ليل نهار لا تعطيك الفرصة للتركيز واستجماع قواك، فيعكرون أيامك حتى لا تجد في سمائك طيفًا للأمل.

وصدق من قال:

وإخوانًا حسبتهمو دروعًا فكانوها ولكن للأعـادي

وخلتهمو سهامًا نافــذات فكانوها ولكن في فؤادي

انظر إلى قسوة الآباء، وكثيرًا ما يقسوالأب على ولده، ليكون هادمًا لبوارق الأمل في نفسه، فمنهم من كان يرسل كلماته كاللهب الصاعق على أبنائه، فتحرق نفوسهم، وتكسر قدراتهم..ولئن كان ولدك فاشلًا متأخرًا ربما هدم مستقبله بيديه، فلا تهدم أنت حياته بلسانك وتأنيبك! حاول معه النهوض مرة أخرى، ولا تكن سببًا في انهياره أو انتحاره!.. أعرف فتاة رسبت في عامها الدراسي، فصب عليها أبوها وابلًا من اللعنات والشتائم، فهدم كبرياءها وحطم نفسها، فلم تجد المسكينة طريقًا غير طريق الرحيل، فعزمت على الانتحار، وصبت على نفسها مقابل ما صب عليها أبوها وقودًا وأشعلت في جسدها النيران، لتموت ضحية كلمات غاشمة، أضاعت آمالها وأذاقتها معنى الانكسار في الحياة!

ليس على صواب من يظن أن السخرية والتعيير والإشعار بالفشل والرسوب، من الدوافع القوية للنجاح، كما يتصور

بعض الواهمين المخدوعين، الذين يرون المعول أداة بناء! انظر إلى عثرات ولدك، تأمل مشكلاته، حلل عقباته، حاول أن تنهض به، شجعه تارة وحفزه تارة أخرى، حاول أن تبعث فيه الثقة ليقوم من كبوته، واحذر من لسانك أن يخرج منه ما يشعره بالفشل، فربما يخيب ظنك، وتشهد الدنيا من ولدك هذا عبقرية غير مسبوقة، تمامًا كما خاب ظن والد، الأديب الكبير (جبريال جرسيا ماركيز) الحائز على جائزة نوبل عام ٨٢م لم يكن والده يرى فيه أي أمل، وكان غير واثق من موهبته، وانطلق يسخر من ولده في مطلع حياته، وفوق سخرية الوالد، كان الفقر يحاصر طموحه من جهة أخرى، وما أدراك ما الفقر في قتل المواهب؟!

إنه سرطان العبقريات الذي يقضى عليها ويمحو بشائرها، وهو ما تعرض له (ماركيز)، ولكنه قاوم بقدر ما استطاع، لقد عانى الفاقة والحرمان، ومرت به أيام كان يسد رمقه بما يجد في صناديق القمامة من بقايا أطعمة فاسدة، وكان يعجز عن شراء الحليب لطفله الرضيع، واضطر أن يرسل نصف مخطوطة كتابه الذي وضعه في مصاف الأدباء المرموقين فيما بعد (مائة عام من العزلة) لأنه لم يكن يملك ما يكفى من المال لإرسالها

للناشر الأرجنتيني، وفيما بعد أرسل الجزء الثاني بالبريد بعد أن رهنت زوجته المدفئة الكهربائية وهي آخر ما تبقى لهما في المنزل بعد أن باع كل ما يملك، وحين سلك درب الأدب وعرض أعماله؛ جاءته الضربة الأكثر إيلامًا، حيث قال عنه أشهر ناقد سينمائي: «إنه لا يملك أية موهبة وعليه أن يبحث عن مهنة أخرى.» وبعد هذه الظروف المحبطة، والعثرات المحطمة، التي تمثلت في الفقر تارة، والتيئيس تارة أخرى،لا يسعنا إلا أن ننظر كيف مرت الأيام وكيف أصبح (ماركيز)؟

هل تحققت نبوءات والده، وهل صدق ذلك الناقد في رأيه عنه؟

لقد أجابتهم الأيام عن كل ذلك، وخيبت آمالهم فيما توقعوه.

فتعالوا بنا نبصر كيف أصبح ماركيز؟!..لقد صار أشهر المؤلفين في العصر الحديث وأغناهم، إذ كان يتقاضى خمسين ألف دولار عن لقاء لا يتجاوز نصف ساعة، وكان يملك سبعة منازل فاخرة في خمس دول مختلفة، أما ما حصل عليه من الجوائز والأوسمة فمنها وسام النسر ١٩٨١م، ثم جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢م، وإذا تأملت كل هذا النجاح

الباهر والجوائز العديدة الضخمة التي نالها، وتذكرت ما كان ينعته به أبوه بالأمس، فما عليك إلا الضحك على الأيام التي خانت رجاءه! «إن الإنسان دائماً يحتاج إلى أن يجدد حياته من حين لآخر، بإشعال شمعة جديدة من شموع الأمل في حياته كلما ذابت شموعه الأولى، وبألا يستسلم للإحباط مهما كانت البدايات غير مبشرة ومهما عرقلت الصعوبات والعثرات طريقه، فكل الذين حققوا نجاحهم في الحياة قد فعلوا ذلك، ولم يقولوا أبدا «ضاع العمر يا ولدي»، ولم يعد هناك وقت لكي نبدأ من جديد، أو لكي نحقق الآمال التي طال انتظارنا لها، فالإنسان قادر دائمًا على أن يكسب مهارات جديدة في أية مرحلة من العمر يستعين بها على مقاومة السأم واليأس والقنوط»[1].

• • •

(١) اندهش يا صديقي – عبد الوهاب مطاوع

أمهات مشجعات

كثير من العباقرة والعظماء كاد أن يجرفهم تيار الإحباط، وتصيبهم كلمات المثبطين في مقتل، لينحرف مسارهم إلى الفشل والضياع، لولا وجود أمهات فطنات حكيمات وقفن خلف أبنائهن بالتشجيع والدعم والمؤازرة، حتى كانت المفاجآت التي أظهرتها الأيام.

ذات يوم أرسلت المدرسة إلى أم تلميذ تقول لها: «وفري مالك لا داعي لتعليم ولدك؛ لأنه غير صالح للتعليم، فهو بليد ومتخلف عقلياً» وتساقطت دموع الفتى على مقلتيه حينما قال له أحد أساتذته: «إن رأسك الكبير مملوء بالتراب»، لكن الأم العظيمة أبت في شموخ أن ينطفئ الإبداع في طفولته، وصممت على أن تُعلمه بنفسها وفعلًا علمته، ولم تؤثر فيها عوامل الإحباط!

بدأ (أديسون) في التعليم المنزلي، وبدأ يطبق أفكاره الغريبة التي

سخروا منها في المدرسة، ومحاولة تلو أخرى فشل ثم فشل، لكنه لم ييأس، فقد نظر للفشل على أنه خبرات وتجارب تفيد بعضها بعضًا، وأجرى ٩٩٩٩ تجربة دون يأس ولا استسلام، وفي تمام العشرة آلاف كان اختراعه المذهل الذي أضاء العالم وواجه الظلام (المصباح الكهربائي)، وكانت نظرته للفشل نظرة إيجابية حينما قال: «تعلمت ٩٩٩٩ تجربة لا يعمل بها المصباح الكهربي، ثم تعلمت واحدة بها يعمل!»

وهذا الإنجاز العظيم كان بفضل أمه التي شجعته وعلمته ولم تعرف معنى الإحباط، حتى تربع ولدها على عرش المخترعين بعد ذلك، ليصير المخترع العبقري (أديسون) بفضل الأم العظيمة (نانسي إليوت أديسون) التي قال عنها ولدها في ذكرى وفاتها معترفًا بفضلها عليه: «لم أكن أعرف الحزن حتى ماتت أمي، فهي التي صنعتني.»

وفي (نابولي) كان هناك صبي صغير يبلغ عشر سنين، ويعمل في أحد المصانع عاملًا بسيطًا، دخل معترك الحياة في العاشرة من عمره، وأنهى دراسته الإبتدائية وهويعمل نهارًا ويدرس مساءًا، وكانت أمنيته التي تسيطر على خياله أن يصبح مغنيًا، إلا أن معلمه أحبطه وقال له: «لا يمكنك الغناء يا صغيري،

فأنت لا تملك أية موهبة على الإطلاق، وصوتك يشبه ريحًا تصفق.» غير أن أمه الفلاحة الفقيرة احتضنته وطوقته بذراعها وشجعته، وزرعت فيه الأمل مرة أخرى بعد أن أحبطه هذا المعلم الجهول، وقالت له أمه: «إن صوتك جميل»، وأشفقت على أدائه، وكانت تخرج حافية القدمين تكد وتتعب حتى توفر له نفقات دروس الموسيقى، واستطاعت بإصرارها وجهادها أن تُغير حياة ولدها الذي كاد الإحباط أن يهدمه يومًا ما، وهذا الصبي هو(إنريكو كاروزو) مطرب الأوبرا الشهير.

ومن علماء المسلمين من عرف بالورع والاستقامة والعلم والفضل، وكان ثمرة أم مكافحة ربته وعلمته وجاهدت به الدنيا وهو يتيم فقير، حتى صار أعجوبة من عجائبها! ومنهم الإمام (أبو عمرو الأوزاعي) والذي ربته أمه، وتنقلت به من بلد إلى بلد، فتأمل ماذا أخرجت وكيف ربت؟

إنه (الإمام الأوزاعي) الذي قال عنه (النووي) رحمه الله: «وأجمع العلماء على إمامة الأوزاعي، وجلالته، وعلو مرتبته، وكمال فضله، وأقاويل السلف رحمهم الله كثيرة مشهورة مصرحة بورعه وزهده وعبادته وقيامه بالحق وكثرة حديثه وغزارة فقهه، وشدة تمسكه بالسنة، وبراعته في الفصاحة، وإجلال

أعيان أئمة عصره من الأقطار له، واعترافهم بمرتبته».[1]

قال (العباس بن الوليد): «فما رأيت أبي يتعجب من شيء في الدنيا تعجبه من (الأوزاعي)، فكان يقول: «سبحانك تفعل ما تشاء! كان الأوزاعي يتيمًا فقيرًا في حجر أمه، تنقله من بلدٍ إلى بلد، وقد جرى حكمك فيه أن بلغته حيث رأيته! يا بني، عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدب (الأوزاعي) في نفسه، ما سمعت منه كلمه قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكًا قط حتى يقهقه، ولقد كان أخذ في ذكر المعاد، فأقول في نفسي: أترى في المجلس قلب لم يبك؟»[2].. وهذا (الشافعي) الذي انتحل مذهبه خلق عديدون، كان أيضًا ثمرة أم مكافحة، فقد مات أبوه وهو جنين أورضيع، فتولته بعنايتها وكانت من العابدات القانتات العاملات، حتى صار (الشافعي) الذي ملأ طباق الأرض علمًا، ويحكى أن الأمام مالك قد رأى لنفسه رأيًا في مستهل حياته، لو أنه قام بتنفيذه لحرم العلم والدين شيخًا من شيوخه، وإمامًا من أئمته، ذلك أنه قد راق له في باكر

(١) تهذيب الأسماع واللغات للنووي (١/٢٢٩).

(٢) سيرة أعلام النبلاء (٧/١١٠).

صباه أن يشتغل بالغناء، لكن أمه (عالية بنت شريك الأزدية) كانت سيدة فاضلة سارعت إلى تقبيح الفكرة، موهمة إياه أنه قبيح المنظر، والناس لا يقبلون سماع المغنى القبيح، ونصحته بالإقبال على الفقه، فأذعن لرأيها، وأقبل على الفقه والحديث، ذلك الإقبال الذى جعل منه إمامًا جليلًا من أئمة الإسلام!

ومع نموذج آخر للأم التي انتصرت على بعض الصعوبات من أجل تعليم ابنتها التي كان لها فيما بعد شأن عظيم، الأديبة الكبيرة الدكتورة (بنت الشاطئ)

لقد رفض أبوها الشيخ إلحاقها بالمدرسة، ولكن والدتها الحصيفة، كانت لديها رغبة شديدة في تعليم فتاتها، فلم تستسلم لإباء الوالد، فاستعانت عليه بشيخه وإمامه في التصوف، والذي لا يستطيع أن يخالف له أمرًا أويرد له كلمة، فقبل مكرهًا أن تلتحق بالمدرسة، بعد أن تجاوزت سن القبول ببضع سنوات، واصطحبتها أمها لتلحقها بمدرسة المعلمات، ولكن المدرسة ترفض قبولها لأنها تجاوزت السن المقرر، ولم تستسلم الأم؛ فاتجهت على الفور إلى محل صائغ في المنصورة وباعت فيه أسورتها الذهبية، وتوجهت بفتاتها إلى القاهرة لتحاول إلحاقها بمدرسة حلوان، وتغلبت (بنت الشاطئ) على تلك العقبات

بفضل هذه الأم القوية التي حفزت فتاتها، ونذرتها للعلم، وتؤدي بنت الشاطئ امتحان الكفاءة من منازلهم، لتكون المفاجأة المذهلة وحصولها على المرتبة الأولى على مستوى القطر كله، واتجهت للتعليم الحديث في للجامعة، وتنجح وتواصل طريقها حتى حصلت على الماجستير والدكتوراه وصارت الأديبة الدكتورة (بنت الشاطئ).

• • •

من الذي بقي يا ولدي؟

تعترض الإنسان في مشوار حياته كثيرٌ من محطات اليأس والإحباط التي يضعها القدر في طريقه أوتضعها أيادي الخصوم من الحاقدين والمغرضين، أما النفس فإنها حيال هذه الأزمات تكون بين أمرين.. إما أن تكون قوية، فتعرف طريقها في مواجهة المِحن، أوضعيفة فتكون خسارتها فادحة حينما تستسلم للفشل والانزواء والتراجع ..ولعل هذه النفس المسكينة تكون في محنتها أحوج ما تكون لمن يساندها ويدعمها ويشد من أزرها ويملأ كيانها المحطم بوقود التشجيع والتحفيز، ولقد كان (إحسان عبد القدوس) واحدًا من هؤلاء الناجحين الذين ضعفوا ولانوا أمام ضربات الخصوم ونقدهم اللاذع الرخيص الذي أرادوا به تحطيم نجاحه، وإيلام، تفوقه، ووخز قلمه ليخرج من معركة الصحافة مهزومًا مخزولًا!

لقد صب خصوم (إحسان) عليه إهانات بالغة، كاد معها أن يفقد موهبته، وكادت مصر كلها أن تفقد فيها وبسببها قلمًا وطنيًا شريفًا طالما دافع عن حقوق أبنائها بجرأة وشجاعة.. وفي فترة ما قبل انقلاب ٥٢ وفي نهاية عهد فاروق لحكم مصر، كان (إحسان) شديد الهجوم على حزب الوفد عنيف النقد لسياساته وتوجهاته وزعيمه، لأنه يمثل في نظره السلطة الحاكمة التي تشارك القصر والإنجليز في كثير من المظالم التي تقع على عبء الشعب المصري ومواطنيه الضعفاء..كان قلم إحسان في تلك الفترة قلمًا ملهبًا موجعًا ينفث بالحمم كما عبر هو عنه بنفسه بقوله: (إني أكتب والقلم يطق غيظًا وينفث السطور كحمم النار) وكانت مقالاته وكتاباته تصول وتجول فيهاجم الإنجليز تارة، والوفد تارة أخرى، ولا ينكمش أويخشى من التعريض بالقصر ورجاله ومفاسدهم!.. ففي مقاله الصادر عام ١٩٥١/١٢/٤م كتب مقالًا تحت عنوان: (الحكومة معنا أم علينا؟) انتقد فيه النحاس باشا، واتهم حكومته بالتخاذل عن نصرة الثوار في مواجهة الاحتلال البريطاني، واختتم مقاله الساخط بقوله: (أخشى أن أقول: إن الحكومة تخشى تحرك الشعب أكثر مما يخشاه الانجليز خصوصًا إذا كان شعبًا

مسلحًا) وكانت نتيجة هذا الهجوم والنقد المتكرر أوالتوبيخ المستمر، أن تعرض لحملة قاسية غير شريفة، شنتها عليه صحيفة (صوت الأمة) الناطقة بلسان حال حزب الوفد كنوع من الانتقام والثأر لحزبها وزعيمه، وركزت صوت الأمة في هجومها ضده على أنه ابن ممثلة، وأنه تمامًا كأمه لا يفهم في السياسة ويجب عليه أن يبتعد عنها!..وهنا يغضب إحسان غضبًا شديدًا ويحزن كثيرًا من هذه الإساءة التي أهانت كرامته ونالت من كبريائه وجرحت مشاعره، وأصابته بموجات عاتية من اليأس والإحباط.. قرر معها أن يعتزل الصحافة ويعمل بالمحاماة! وفي ظل هذا الحزن الكثيف والكآبة المدوية والإحباط المظلم، تطل الأم المناضلة (روز اليوسف) بما لها من عزيمة ومضاء وهمة الأقوياء، على ولدها المحزون تريد أن تعلمه درسًا هامًا في الحياة ربما لم يواجه مثله من قبل، لقد أحست أمه بمعاناته والمحنة التي تتألم منها نفسه، والتي سببها له هذا الهجوم المسف المشين الخادش للإنسانية والشعور، فقدمت له مجموعة من مجلة (الكشكول) وبها شتائم وسباب شخصي موجع لأمه، فلما قرأ إحسان اعتلته دهشة كبيرة لأن هذا الهجاء الذي قوبلت به أمه كان حقيرًا عفنًا رخيصًا إلى درجة كبيرة!

وهنا وبين ثنايا هذه الدهشة ابتسمت لولدها وقالت له: «من الذي بقي يا ولدي، الكشكول أم روز اليوسف؟! يا بني إذا شتمك خصمك في الرأي فاستبشر خيرًا فهذا دليل عجزه، وإذا كنت قويًا فدع العجزة وامضي في طريقك!»لقد عينته أمه سكرتيرًا لروز اليوسف، ولكن الخط الصحفي الذي تنتهجه روز اليوسف هوخط الوطنية الساخنة ومواجهة الفساد ومهاجمة الاحتلال، وكانت تتعرض نتيجة لذلك النهج للحظر والإغلاق أكثر من مرة، فلم تكن تيأس أوتمل أوتنضب لها عزيمة، وإنما كانت قوية الهمة ساخنة المضاء في إيصال صوتها وكلمتها، وكان إحسان في تلك الفترة، وفي سن الـ٢٥ من عمره على موعد مع عالم البطولة والشهرة الذي طرق بابه بعنف وقوة، بتشجيع أمه ووقوفها بجواره ففي مقاله الشهير (هذا الرجل يجب أن يذهب) والذي هاجم فيه اللورد (كيلرن) سفير بريطانيا على خلفية حادث ٤ فبراير والذي أملى فيه على فاروق بضرورة تعيين (النحاس باشا) رئيسًا للوزراء فكان عدوانًا على السيادة المصرية.

لقد كان إحسان يعلم جيدًا أنه سيضرب بكلمته هيبة الإنجليز، وسيصطدم بالملك الذي استسلم للمأساة وبحزب الوفد الذي

أتى به الإنجليز، كما سيصطدم بالإقطاعيين الذين يحمي الاستعمار مصالحهم، وظهر المقال الخطير عام ١٩٤٥ فكان صرخة مدوية أمام صمت كثيف من كل الأقلام التي أخافها وأسكتها الإرهاب! فلما كتب إحسان.. كان مقاله السهم الأول الذي انطلقت بعده كل السهام تجاه عدوها المرصود، بل كان الشرارة الأولى التي تولدت منها نيران الغضب في الصحف المصرية، وبعد نزول العدد للسوق، كان إحسان يجلس مع مجموعة من أصدقائه يترقبون ردود الفعل على كل الأطراف، وفجأة فتح الباب ودخل أفراد البوليس السياسي، ويذهب بكل شجاعة إلى سجن الأجانب وذهبت أمه معه ودارت مناقشة عنيفة بينه وبين أمه، التي أرادت أن تنسب المقال لها لتدخل السجن بدلًا منه، ولكنه أصر حتى أودعته النيابة في السجن .وهنا تحرك قلب الأم المناضلة فترسل لولدها الذي يشق طريقه في عالم النضال خطابها التاريخي الذي لا مثيل له في دنيا الأمومة تقول فيه: «إلى ولدي السجين أحييك في سجنك تحية أم وتحية مواطنة حملت قبلك شرف الجهاد في قضية مصر، وقد اختلط في نفسي شعور الأم بشعور المواطنة فما أدري بأيهما أعبر عن نفسي وإن في قلبي

ليستعر جحيمان جحيم الأم، وجحيم المبدأ، وكلاهما قطع من العذاب أحمد الله عليك إذن وأنت في أول طريقك في قضية مصر وقد نزلت منزلًا كريمًا في سبيل مبدأ كريم، والسجن يا ولدي منازل الأحرار إذا دخلوه مدافعين عن حرية الرأي مناضلين في سبيل الحرية فلا يرضون بإحناء الرأس وتلجيم الفم من أجل متاع دنيا لا تدوم، ثم أحمد الله على نفسي إذا أكرمني وأنا ما زالت على قيد الحياة بأن أراك تحقق أملي فيك وتستقيم على المنهج الذي ربيتك عليه، أن تكون لبلادك ولحرية الرأي وأنت لا تزال في السن التي يكون فيها غيرك لمغامرات الشباب وأحلام الشباب ومناهج العيش الهني».. وخرج إحسان من عالم السجن إلى عالم الشهرة والمجد الممزوج بالنضال والكفاح، ليجد كذلك تشجيع أمه متواصلًا حيث أعدت له حفلة كبيرة ومنحته ثقتها وجعلته بدلًا منها رئيسًا لتحرير روز اليوسف في هذه السن الصغيرة!

ويومًا ما جاء المطرب محمد عبد الوهاب لزيارة أمير الشعراء أحمد شوقي وهو حزين كسير متألم، فسأله شوقي عن السبب فأخرج له من جيبه بعض مجلات كانت تهاجمه، فقال له شوقي:لا تحزن بل يجب أن تسر من ذلك، لأن النقد يرفعك

ويزيد في شهرتك، وسأثبت لك ذلك بالعمل..ضع هذه الصحف على الأرض وقف عليها بقدميك، ففعل محمد، فقال له باسمًا: ألم أقل لك إن النقد رفعك؟!

• • •

هكذا كان ظني بك

لا يمكن أبداً لذاكرة الإنسان أن تنسى أوتتغافل مواقف التشجيع في حياتها، فهي المواقف التي يرى فيها الإنسان ميلاد نفسه مرة أخرى، يرى فيها آية من آيات الله، حينما يتبدل من حال إلى حال، ومن ميدان إلى ميدان، ومن هنا تظل محفورة على جدارها خالدة لا تنمحي ..الدكتور (نجيب محفوظ) وهو غير الأديب الكبير (نجيب محفوظ).

لم يكن الاسم وحده الذي يربط بين الشخصين، فقد كان الدكتور (نجيب محفوظ) أديبًا جديرًا بقدر ما كان طبيبًا عبقريًا، تعرف ذلك من كتابه (حياة طبيب) الذي عرض فيه سيرته الذاتية ومشوار حياته، وقدم له عميد الأدب العربي (طه حسين)، وأشاد فيه بأسلوبه، وذكر أنه من فرط حلاوته قرأه مرتين، ويعزم على قراءته للمرة الثالثة..ولك أن تعلم أن هذه الملكات الثقافية، كانت نتاجًا للظروف التي أحاطت به وشجعته، فوالده كانت له مكتبة كبيرة، حوت

كتبًا كثيرة في ميادين شتى، وأبرزها كُتب الدين التي طالعها نجيب في أوقات فراغه، وتعلم منها آداب المناظرة والإيمان بالحرية لكل ذي فكر، كما كان أبوه مشتركًا في شتى الصحف اليومية والمجلات العلمية، وكانت تُعقد بمنزلهم جلسات في قاعة الاستقبال، يدور فيها الحوار بين أزواج أخواته، ويتناولون مختلف الموضوعات، فكان أحدهم يتلو الصحيفة بصوت عال وتدور بعدها المناقشات، ويحكي الدكتور نجيب في كتابه: «ما أذكره لأبي أنه كان يريدني أن أقرأ له قبيل نومه إصحاحًا من الكتاب المقدس، ويشرح لي ما يخفى علي أثناء القراءة من دقائق المعاني، وكانت أمي تستظهر كثيرًا من الآيات، وتفسر لي ما يغمض من معانيها، وفيما بين الثامنة والثانية عشرة من عمري، اشتد شغفي بالقراءة فلم أكن أدع من مكتبة أبي كتابًا إلا طالعته، كما أني كنت أحرص على قراءة ما يأتينا من نشرات تجارية تبين أسعار القطن وحركة الأوراق المالية، فإذا استعصى علي فهم شيء منها استعنت بأبي على حل ما يعترضني من غموض»[1] كل هذه العوامل وما إليها؛ قد وجهته نحو الثقافة والقراءة وحب العلم والمعرفة، فهي تشجيع ودافع صنع منه عقلية ماهرة متفوقة.. وبعد ذلك، وفي حياته

(١) حياة طبيب للدكتور نجيب محفوظ.

كتلميذ كان للتشجيع أثره الفعال في نفسه، والذي ظلت مواقفه محفورة في ذاكرته، وظلت حوادثها عالقة في عقله لا ينساها أبداً.

يقول: «وثمة حادثان صغيران كان لهما أثر بعيد أثناء تلمذتي في هذه المدرسة: الأول أن مدرس اللغة العربية الشيخ (حامد موسى) رحمه الله، كان يشجعني بعبارات يوقع بها في موضوعات الإنشاء التي أكتبها، وأذكر من هذه العبارات: «أجدت يا واحد الأدباء، وهكذا كان ظني بك، ولكل اسم من مسماه نصيب يا نجيب»، وكان لتشجيعه لي أكبر الأثر في إقبالي على مطالعة كتب الأدب العربي، والحادث الآخر الذي أذكره، هو أني عندما كنت طالبًا بالمدرسة التوفيقية، كتبت باللغة الإنجليزية موضوعًا إنشائيًا عنوانه: (العمل بلا تسلية يجعل من جاك تلميذًا بليدًا)، فلما قرأه مدرس اللغة الإنجليزية المستر (فوستر سميث) دعاني إليه وسألني: «من كتب لك هذا؟ أو من أي كتاب نقلته؟ فأجبته بأن الموضوع من إنشائي..فقال لي: إني أسامحك إذا قلت الحق.. فعرضت عليه أن أكتب فصلاً آخر في هذا الموضوع، وأنا أمامه على المكتب، وما لبثت أن فعلت، فشد المستر (فوستر سميث) على يدي،

وقال: هذا حسن جدًا»[1]

ومع الأديب الكبير (نجيب الكيلاني) الذي حكى في مذكراته وقص عن عمه الشيخ عبد الفتاح الذي كان يتعلم بالأزهر ولكنه تراخى وتكاسل عن استكمال التعليم بعد المرحلة الابتدائية وذهب ليعيش في قريته دون عمل، ولم يكن من السهل عليه أن يجد وظيفة يقتات منها في الحياة،كما لم يكن مؤهلًا للعمل في الحقل ويقضي يومه بلا انتاج، يصاحب العاطلين ويقضي ليله في السهر معهم، وكان يدخن ولم تكن الأسرة تستطيع أن تنفق عليه فاضطر لبيع أرضه، وكانت هذه كل محاولاته في الحياة، ولم يقدم لنفسه أولغيره من أهله شيئًا إيجابيًا إلا شيئًا واحدًا وقيمة عظيمة يرجع الفضل فيها إليه، وهي أنه تسبب في صنع وتكوين أديب كبير وعظيم وهو ابن أخيه الدكتور (نجيب الكيلاني) الذي يروي عنه قوله: «كان عمي رغم ما حوله من أزمات طيب القلب حسن الثقافة وكان المتعلم الوحيد في الأسرة، وكان عطوفًا ذكيًا ومنكبًا على القراءة في كتب المنفلوطي (النظرات وماجدولين وغيرها) وكتب الرافعي (وحي القلم – المساكين – أوراق الورد) وشعر

(١) المصدر السابق.

(شوقي) ومسرحياته، والقليل من مؤلفات الدكتور طه حسين وبعض كتب التراث.» وكان الدكتور نجيب يأخذ بعض هذه الكتب بعد أن كبر ويحاول القراءة فيها فيفهم بعضها ولا يستطيع استيعاب البعض الآخر، وكان يلجأ إلى عمه هذا أحياناً ليشرح له ما غمض عليه، لقد كان هذا العم هو المورد الأول والأساسي لثقافة الدكتور نجيب وهو الذي أخذ بيده للتزود من الثقافة العامة وكان لا يبخل على الكتب بمال، وإذا كانت هذه الأسرة تخشى أن يتكرر هذا النموذج الفاشل في صفوفها، فإن الحقيقة أن هذا الفاشل هو الذي صنع لها المجد حينما أغرى فتاهم الصغير بالقراءة والثقافة وصنع منه هذا النجم اللامع صاحب الروايات الأثيرة الرفيعة المبهرة! بل كان في حياته ما هو أعظم تشجيعًا من ذلك وهو أولئك الشباب الجامعيين والأزهريين من بلدته والذين كانوا من حسن حظه أنهم يقومون بجمع الشباب والفتيان حولهم في القرية أثناء الإجازة الصيفية، ويرى نجيب وزملاءه في أيديهم الكتب القديمة ويسمعوا حوارهم الثري المفيد، ويتعلمون منهم الكثير من النصوص والأحكام الشرعية والمقارنات الأدبية والأخبار التاريخية وكان أحدهم يطلب من (نجيب) أن يشاركه في قراءة بعض الكتب الهامة أثناء المرحلة الثانوية،

ومنها كتاب (قادة الفكر) و(وحي القلم) وأجزاء من دواوين شوقي ومسرحياته وبعض قصائد(أبي العلاء المعري). كل هذا أنتج في نفس نجيب شوقًا ومتعة في القراءة، ولم يكن ليشبع منها أبدًا لقد صارت في نفسه كالإدمان، وحينما كان يعلم أن بعض الناس لديه كتاب ذا قيمة؛ كان يفعل المستحيل لاستعارة هذا الكتاب، ولم تكن الحالة المالية تسمح بشراء ما يلزمه من كتب ثقافية خارجية، وكان يتبادل مع أصدقائه أويشترك معهم في شراء كتاب واحد أوشراء مجلة من المجلات القيمة كالهلال، كما كانوا يحرصون على قراءة مجلدات الرسالة القديمة ويشترونها من مكتبة فك الأزمة الشهيرة بطنطا، وكان يُحب الكتب الصفراء ولا يتضايق منها كما يضيق بها البعض.

لقد كان للكلمة المطبوعة مفعول السحر في نفس الدكتور نجيب، وكان يقرأ أي شيء، وكانت له المقدرة على حفظ الكثير من النصوص، بدأ يكتب الشعر في المرحلة الابتدائية، وبهذه المعالم التي كان أساسها التشجيع والتحفيز والتقليد والمحاكاة بدأت رحلة تكوين الأديب اللامع الدكتور (نجيب الكيلاني).

• • •

إرادة تتحدى العقبات

كانت في سن السادسة ومعها شقيقها الأكبر (محمد) طالب بالمدارس الثانوية ويكبرها بعشر سنين، ألف مجالسة أخته، وجعلها ونيسًا له في مراجعة دروسه ومطالعاته، وكان يقرأ لها كتب الأدب القديمة، فعشقت القراءة وأحبت المطالعة، وقرأت كثيرًا من الكتب والروايات، مثل كتاب (ألف ليلة وليلة)، وقصة (عنترة بن شداد)، كما قرأت أشعار (عمر بن أبي ربيعة)، و(مجنون ليلى)، و(عائشة التيمورية)، وعنّ لها بعد ذلك أن تكتب قصصًا وتقرض الشعر، فأحضرت كراسة ودونت فيها ما جادت به قريحتها من خواطر وأشعار.

يومًا ما، دخل عليها شقيقها ومعه ابن عم والدتها (مصطفى أفندي عبد الرازق) فأمسك أخوها محمد كراستها وأخذ يقرأ ما فيها، ووقعت عينه على بعض ما كتبت أخته من أبيات، فإذا به يرمي الكراسة على الأرض، ويرسل ضحكة عالية

ويقول في دعابة وسخرية: «مالك والكتابة؟ إن هذه اللام لا تجر عربة فقط، وإنما تجر حماراً أيضًا!» يُشير إلى خطأ نحوي في بعض الأبيات، ودُهشت لما يقوله أخوها، وخجلت من تهكمه على كتابتها، وكاد الخجل يقتلها لولا أن عاجلها مصطفى أفندي بموقف يخالف موقف الساخر الضاحك.. لقد تناول الكراسة وقرأ ما فيها، وقال لها في شيء كثير من التشجيع: (ولايهمك كلامه، واعلمي أنك لوتعلمتي فلن يستطيع أحد منا أن يجاريك في الكتابة)! ثم أرسل لها كُتب النحو لتتعلم منها قواعده، فأخذتها وفهمتها وطبقتها، ولكن تلك الكلمات التي نطق بها مصطفى أفندي، لم تمر على خاطرها مرور الكرام، وإنما كان لها معها شأن آخر، ففي كتابها الجسور (تاريخي بقلمي) تشير إلى هذا الأمل الكبير الذي أطلقته في نفسها هذه الكلمات؛ فتقول: «واتجه فكري في ذلك الوقت إلى تحقيق ما قاله ذلك القريب، والالتفات إلى التعليم، وترك قراءة القصص والروايات.»

وكانت هذه الكلمات بداية الانطلاق لعملاق الإرادة في نفس هذه الفتاة الأبية، هذا العملاق الذي ولد مبكرًا ولم ينتظر حتى تكبر ليستعرض قدراته!

إنها (نبوية موسى) رائدة تعليم الفتيات في مصر، وأول فتاة مصرية تنال شهادة البكالوريا عام ١٩٠٧م، والتي جعلت من التعليم قضية عمرها، وكافحت في سبيله في كل مراحل حياتها، لأنها كانت تراه الطريق الوحيد لبناء نهضة يعز بها وطنها، وينال مكانته اللائقة، لقد بهرتنا (نبوية موسى)، وعلمتنا معنى الإرادة والتصميم عبر مواقفها المشرفة، تلميذة ومعلمة وناظرة وامرأة مصرية، لقد كانت حياتها مليئة بعقبات كبيرة، لكنها تبددت كلها أمام الإصرار والثقة والنجاح، والرغبة القوية في صنع مستقبل مبهر براق، لقد تحدت كثيرين حولها من أجل مستقبلها، وواجهت في سبيل ذلك موروثات اجتماعية خاطئة، ضربت بجذورها في عقول الناس في ذلك الوقت، فحينما أرادت وهي في سن (الثالثة عشر) أن تلتحق بالمدرسة السنية، قامت الدنيا ولم تقعد، وواجهت هجومًا مستعرًا من جميع أفراد عائلتها وأقربائها..تقول: «ولما كاشفت والدتي برغبتي بذلك؛ اعتبرته خروجًا عن قواعد الأدب والحياء ومروقًا من التربية والدين، وأخذت تقص الحكاية على أقاربها كأنها أحدوثة، وكان يساعدها على ذلك كل من سمع تلك الرغبة الجامحة، صممت على الرفض، وصممت

أنا على تنفيذ رغبتي مهما بلغ الأمر»[1] واضطرت لإخفاء تلك الرغبة عن أمها مؤقتًا، وحاولت دخول المدرسة السنية دون علمها، فإذا نجحت وقبلتها المدرسة، كان لها معها شأن آخر! تكتمت الأمر وشرعت في تنفيذه سرًا، فسرقت ختم والدتها، وذهبت إلى المدرسة، وكتبت طلب التقديم وختمتها بختم والدتها، وتعجب سكرتير المدرسة والمعلمون من جرأتها في تقديمها لنفسها وهي في هذا السن! ويبدو أن أخاها محمد برغم صداقته لها وإشراكها معه في القراءة والاطلاع، إلا أنه كان كثير السخرية منها ومن طموحها، ولعله يكون معذورًا في ذلك؛ فلا العقل ولا المجتمع ساعتها، يتصوران ما ستكون عليه أخته في مستقبلها! وتمر الأيام، وتجتاز نبوية امتحان القبول وتُقبل بالمدرسة، حتى أنها باعت بعض حليها لتدفع المصروفات، وجاءت ساعة المواجهة، فحينما علمت أمها بالأمر قالت لها: «إذا ذهبتي للمدرسة، فلا علاقة لي بك»، أما أخوها فقال لها: «إن دخلتي المدرسة فلن أعرفك»، وفي وجه هذه العقبات هل حققت الفتاة ما ترجوه، وما طمح إليه خيالها؟ لقد صارت نبوية موسى في طريق تعليمها، ومرت بكثير من العوائق، لكنها كانت قوية بإرادتها وعزيمتها، فلم

(١) تاريخي بقلمي – نبوية موسى.

يحل بينها وبين أملها عقبة أومستحيل، وأمام هذا النجاح الكبير لابد أن نتساءل، من الذي صنع هذا الإنجاز، وتسبب في نهوض هذه الرائدة الكبيرة التي أفادت أمتها ووطنها؟ ربما يكون تصميمها، أوإرادتها القوية التي أشرت إليها، وربما يكون حبها الجارف للعلم والتعليم، وربما تكون روح التحدي والعناد الكامن في نفسها، ربما يكون شيئًا من ذلك، لكننا أبدًا لا يمكن أن نغفل دور تلك الكلمات التي داعبت خيالها وطُبعت في وجدانها، ووجهتها إلى عالم آخر، إنها كلمات (مصطفى أفندي عبد الرازق) الذي شجعها وبث فيها الأمل في الوقت الذي داهمتها فيه ضحكات ساخرة.

• • •

همة تقهر المستحيل

أصحاب الهمم العالية هم من يتحدون العوائق، ويقهرون المستحيل، ولا يعرف قاموسهم معنى كلمته، إنهم يهوون المخاطرة والمغامرة، ويستلذون امتطاء الصعاب والأهوال، تحتشد الهمة العالية بكل طاقاتها، إذا وجد الداعي الذي يُثير كوامنها، فإذا أثيرت؛ دخلت الميدان قوية جسورة، ولا تلبث إلا أن تنتصر وتحقق العظائم!

سئل (نابليون) كيف استطعت أن تولد الثقة في نفوس أمراء جيشك؟!

فأجاب: كنت أرد على ثلاث بثلاث.

من قال: لا أقدر. قلت له: حاول.

من قال: لا أعرف. قلت له: تعلم.

من قال: مستحيل. قلت له: جرب.

إنه التشجيع والدعم والتحفيز، إنه بصورة أخرى صراع مع المستحيل، ولكن يبدوأن نابليون كان يجمع حوله من يهوون صراع المستحيل!

ففي مدينة نانسي بفرنسا كان هناك فتى صغير يعيش مع أسرته الفقيرة، وكان والده خبازاً بسيطاً بالكاد يجد ما يسد به أجرة مخبزه وبيته وشيء من احتياجات عائلته، هذا الأب لطالما كان رافضًا لفكرة التحاق ابنه بالمدرسة، لأن ذلك بالنسبة له يعني فتح باب جديد للاحتياجات والمستلزمات التي ليست في إطار قدراته أبدًا، علاوة على أن ابنه أصلًا كان عامله الوحيد في المخبز وعند التحاقه بالمدرسة؛ فذاك يعني أنه لن يتمكن من تغطية متطلبات تشغيل المخبز كالمعتاد، وذات ليلة احتشدت ضده زوجته وابنه وبعض رجال القرية ليقنعوه بضرورة إتاحة الفرصة للفتى أن يتعلم، مع تعهد الأخير أن الساعات التي سيقضيها في المدرسة سيعوضها بساعات مضاعفة بعد انقضاء اليوم الدراسي، وهذا بالفعل ما حدث، فقد كان

الفتى يؤدي مهام عمله في المخبز حتى ساعات متأخرة من الليل، ويصحو باكرًا قبل موعد المدرسة ليشعل الفرن ويُقرّب مكورات العجين منه حيث لا يتبقى أمام والده إلا خبز تلك المكورات..هكذا كان شأنه مع التفاني والجد والاجتهاد حتى أتم شهادته الثانوية –وفي فترة الإجازة الصيفية– وبينما كان منهمكًا في توزيع طلبات الخبز على العملاء في منازلهم، لمح بالصدفة على إحدى المباني ملصقًا لإحدى المعاهد العسكرية العليا تذكر فيه أن باب الالتحاق بالمعهد أصبح متاحًا، وعلى من يجد في نفسه القدرة والرغبة أن يتوجه لمدينة "ميتز" لإجراء اختبارات القبول.. فصاح بكل جوارحه ؛ أنا لدي الرغبة، ولكن كيف؟ ميتز بعيدة جداً وليس بمقدور أبي تحمل تكاليف هذه الرحلة، وعند عودته للبيت، لاحظ أباه الخباز شروده وانكسار نفسه، وبعد إلحاح منه أخبره بأمر ذلك الإعلان، فسكت الأب برهة قليلة ثم انصرف لحجرته، ولم يلبث حتى عاد ثم سحب كف ابنه وأودع داخلها "١٠ فرنكات" وهو يقول: «هذه كل مدخراتي، خذها وانطلق لميتز».

فانطلق قبل بزوغ النهار من قرية لأخرى، تارة على قدميه وتارة على عربة ‘‘كرو’’ لأن الفرنكات العشر لا تفي بقيمة

تذكرة القطار، لذلك اختار الوسيلة الأصعب ولم تغرب عليه الشمس إلا وهو في وسط مدينة " ميتز "، وهناك بات ليلته في انتظار صباح الغد موعد الاختبار، وما إن أحس بلفحة ضوء الشمس حتى استيقظ ملهوفًا، فأدرك من موقع الشمس أنه ربما قد تأخر، فنهض فزعًا وهرع بكل طاقته نحو البوابة ثم المبنى ولم ينتبه إلا وهو يلهث داخل قاعة الاختبار، هنا انفجرت القاعة بالضحك والقهقهة!..من هذا المتشرد؟ فقد كانت ملابسه رثة كثيرة الرقع وفضفاضة تبعث على الشفقة، فأسقط في يد الشاب، وما كادت أقدامه تحمله لولا أن أحد المشرفين اقترب منه مرحبًا ثم قال: يبدوأنك ضللت الطريق يا بني، هنا مكان اختبار الراغبين الالتحاق بالمعهد. فقال الشاب بارتباك شديد: أنا أريد أن التحق بالمعهد ياسيدي. فعادت ضجة الضحك من جديد، فاقترب المشرف منه وأخذ اسمه وبلطف شديد قال: اجلس وانتظر دورك ولا تكترث لهم. جلس وما هي إلا دقائق حتى طلب للمثول أمام اللجنة، فأنصت الجميع باهتمام بالغ يدفعهم الفضول!! أي مأزق أوقع هذا المتشرد نفسه فيه؟ لكن المفاجأة أن هذا المتشرد لم يترك سؤالًا إلا وأجابه بثقة، ولا بابًا إلا وطرقه بطمأنينة، لدرجة أن أحد أعضاء اللجنة قام من مكانه وعانقه، مؤكدًا

سعادته بانضمامه للمعهد، وكان هذا المتشرد هو (دروث) أحد أعظم قادة جيش نابليون الأول، وذراعه اليمين في كافة حروبه»[1] قاوم واجتهد وثابر وصابر حتى أثبت وجوده ولم يأبه للساخرين الذين استهزأوا به وضحكوا عليه وحسبوه ضل طريقه إلى قاعتهم، كما منحته الأقدار هؤلاء الذين شجعوه ودافعوا عنه وقاوموا رغبة والده وغيروا قناعته في تعليمه، لأنه آمن بولده للحد الذي جعله يدفع له كل مدخراته من المال ليلتحق بالمعهد ويشق طريقه لمستقبله ..لقد نشأ (أبراهام لينكون) في أحد مزارع (هودجن فيل) بولاية (كنتاكي) وفي سن التاسعة رحلت أمه عن الحياة وتزوج أبوه، الذي كان فقيرًا معدمًا لم يستطع تحمل نفقته الدراسية التي قضى منها عامًا، فيخرج (لينكون) منها ويعمل في أحدى المزارع القريبة، كي يساعد والده الفقير، ورغم هذه العوائق والعمل من أجل تحصيل قوت الأسرة، كان (أبراهام لينكون) محبًا للتعلم والثقافة، وكان نهمًا في القراءة، يقرأ كل ما يقع تحت يديه من الكتب والمراجع الكبيرة، وتثقف في القانون إلى أن أصبح محاميًا، ودخل معترك السياسة، ووضع منصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هدفًا يسعى إلى تحقيقه! لم يكن (لينكولن)

(١) من مقال الكاتب / عبدالرحمن آل فرحان – صحيفة البلاد بتاريخ ٢٠١٦/١/١٩م

واسع الخيال أوجامح الطموح، وإنما كان يعرف قدراته ويؤمن بها، وهوما أهله للنجاح والظهور، وتحقيق مآربه في الحياة، كان أبرز ما يُميزه هو كيفية تعامله مع الفشل والعثرات، فقد كان يرى أن الطريقة المثلى أن تبدأ من جديد في الوقت الذي ينهار فيه الكثيرون ممن تسود الدنيا في أعينهم حينما يفشلون، ويظنون أن أقدارهم البئيسة لا يمكن تجاوزها لحالة أفضل وصورة أجدى.

كانت هناك حياة حافلة بتجارب فاشلة وأحداث حزينة، قبل أن يحقق أعظم إنجازاته، ففي عام ١٨٣١ فشل (لينكولن) في مجال الأعمال، وفي عام ١٨٣٥ رحلت خطيبته عن عالم الأحياء، وفي عام ١٨٣٦ يواجه لينكون انهيارًا عصبيًا، وفي عام ١٨٤٣ خاض انتخابات الكونجرس وفشل، وفي عام ١٨٤٨ يدخل سباق الانتخابات مرة أخرى ويفشل، وفي عام ١٨٥٥ خاض انتخابات مجلس الشيوخ ويخسر، وفي عام ١٨٥٦ خاض انتخابات نائب الرئيس وفشل أيضا، وفي عام ١٨٥٩ خاض انتخابات مجلس الشيوخ مرة أخرى وينهزم، وفي عام ١٨٦٠ انتخب لينكولن رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية! ويتحقق الحلم وينتصر وينجح بعد طول

إخفاق، وهكذا أكثر من مرة يعترضه الفشل، لكنه لا يُحبَط، ليقينه أن هذه طبيعة الحياة، ويمكن تجاوزها لأفضل منها، كان يؤمن أن الإخفاق لا يعني النهاية، وأن الحياة مازالت مستمرة تدعو للتجربة مرة ثانية، وكان يقول عند لحظات الفشل: «إنها زلة وليست سقوطًا!» ومن أجل هذا استمر (لينكون) ونجح وحقق أهدافه، حينما توهجت نفسه بالأمل، وشعّت بالتفاؤل، أما اليائسون المحبطون ضعاف النفوس؛ فلا حياة لهم مع أول عاصفة تعترضهم فتمزق حاضرهم ومستقبلهم!

• • •

المعرفة سر النبوغ

يقول «العقاد»: (إنني أومن بكلمات التشجيع التي يتلقاها الناشئ في مطلع حياته ممن يثق بهم ويعتز برأيهم، فيمضي إلى وجهته على يقين من النجاح) إن التشجيع على القراءة والدفع إليها، ليست بعيدة عن حديث العقاد، فقد كانت نصيحة السابقين والمتأخرين، وكل من يلتمس نبوغًا مبكرًا فيمن حوله من الناشئين النابهين، ولعل النصيحة بالقراءة هي أول ما تلقاها أديبنا الكبير الأستاذ الشيخ (خالد محمد خالد) في أول لقاء له بالشيخ الأزهري (محمد عبد اللطيف دراز) فقد حضر «خالد» مجلس (النقراشي) يومًا ولما هم بالرحيل طلب منه النقراشي أن يمكث حتى يتعرف على الشيخ (دراز) لأنه كما قال له: «ثائر كبير»، ولما حضر الشيخ «دراز» حيا النقراشي وساعتها همَّ خالد بالاستئذان، قال له الشيخ: «انت ساكن فين يا وله؟» فأجاب خالد: «في الحي الحسيني يا مولانا.» فقال له: «خلاص اقعد لما نمشي سوى، فطريقنا واحد.» يقول خالد: (صافحنا معالي الباشا وانصرفنا، وكان فضيلته يسكن في حي الحلمية أمام المحكمة الشرعية العليا،

وأثناء سيرنا راح يناقشني في قضايا السياسة، فشرعت أقارن بين موقعه من مؤتمر الصلح بباريس وموقف سعد زغلول مفضلًا موقف الأول على الثاني، والشيخ يحاورني، وقد وضع ذراعه في ذراعي ويصحح لي بعض أخطائي واستنتاجاتي، وكان مما قاله لي: «شوف يا خالد يظهر انك ذكي، وذكاؤك السياسي يبشر بالكثير، ولكن أنصحك أن تقرأ كثيرًا وكثيرًا»، ثم قال وهو يضحك: «ومين عارف يمكن يطلع منك حاجة كويسة»، ثم ودعته أمام باب فيلته ومضيت لسبيلي)

وهي ذات النصيحة التي وجهها خالد نفسه للشباب الذين يولون وجوههم شطر الأدب والكتابة حيث قال عنهم في مذكراته: «والشباب المولي وجهه شطر الأدب والكتابة عليه أن ينضج موهبته على نار هادئة، كما عليه أن يتوسل بالأناة وبالتواضع ويكرس جهوده للحقيقة، حتى يكون من رعاياها وحدها وليس من رعايا ملك ولا رئيس ولا عظيم! فإذا فعلوا فإني من خلال تجربة واعية وصادقة أبشرهم بأن سيكون لهم إن شاء الله ما يشتهون اقرؤوا.. ثم اقرؤوا.. ثم اقرؤوا، واختاروا لأنفسكم ما تقرؤون، وفكروا.. وتأملوا.. وارفضوا.. وتقبلوا.. واذكروا الحكمة القائلة: (بالمثابرة والصبر، يصبح ورق التوت حريرًا)

كثير من العباقرة لا يعدو نبوغهم أن يكون كما أشرنا نابعًا من حفاوة والد أو تحفيز أم، أوتشجيع معلم دفعه إلى غايته بكلماته، التي تمثل سقاءً يروي في نفسه منابت النبوغ، فتورق وتُثمر أينع الثمار.

أما الكاتبة والأديبة (نعمات أحمد فؤاد) فإن نبوغها كان وراءه تشجيع كبير من والدها ومعلمها، أما الوالد فقد أحس بموهبة ابنته مما جعله أن يصر على تعليمها ويقاوم رغبة جدها في منعها من التعليم، فأرسلها إلى القاهرة لتلتحق بمدرسة حلوان الثانوية الداخلية للبنات، وكان شتاؤها دراسة وصيفها قراءة لما أعده والدها لها من كتب سبق له قراءتها وتعليقه على ما فيها من أشياء هامة كي تلحق ابنته صاحبة الرؤية بقراءتها ويناقشها بعد ذلك فيما قرأته! أما هذا المعلم المشجع فقد كان نعم المعلم الذي تفتقده أجيالنا اليوم، هذا الرجل لم يقتصر على مجرد كلمات التشجيع، وإنما تبناها، وذهب لوالدها يرجوه أن يهتم بها، إنها لا تنساه أبدًا وتذكر فضله عليها وتحكي قصته معها فتقول:

(عندما كنت في الصف الثالث الابتدائي بمدرسة مغاغة بالمنيا، ذهبنا في رحلة لمصنع السكر وبعد عودتنا طلب منا

الأستاذ(أحمد عطية) معلم اللغة العربية كتابة موضوع تعبير من عدة جمل عما شاهدناه في الرحلة، فكتبت ١٢ صفحة بُهر بها المعلم إلى حد أنه بكى من شدة التأثر، وذهب لوالدي يطلب منه معاونته في رعاية موهبتي الأدبية، يومها تأكد لوالدي ما شعر به من قبل، وبدأ الاثنان في إمدادي بالكتب والمجلات التي يمكنها تنمية ملكة الكتابة عندي، وزاد هذا من مكانتي لدي أستاذي حتي إنني عندما كنت أذهب له لشأنٍ ما أثناء تدريسه في فصل غير فصلنا، كان يطلب من البنات الوقوف لتحيتي من شدة تأثره بموهبتي وأنا عمري لم يتعد العاشرة، وعندما التحقت بالمدرسة الثانوية الداخلية في القاهرة، تكرر موقف المساندة لموهبة الكتابة لدي من قبل مدرس اللغة العربية الأستاذ (محمد الحوفي) الذي كثيرًا ما كان يثني علي موضوعات التعبير التي أكتبها بعبارات مؤثرة في الصفحة الأولي من الكراسة، وكلما تذكرت أساتذتي جالت بخاطري حالة من المقارنة بين حال جيلي والجيل الحالي، فلا أعتقد أن هناك الآن معلمًا يتبني موهبة تلميذه ويحاول الدفع بها على نحوما لقيت)

وعلى ذات الخطى نبعت موهبته من المدرسة ومعلميها الذين وجهوه صغيرًا، حيث يذكر الروائي (إبراهيم عبد المجيد) بداياته

مع القراءة فيقول: (أدين بالفضل لمدرس اللغة العربية، حينما كنا في الصف الرابع الابتدائي وأتذكر اسمه جيدا، هوالأستاذ (حسان)، هذا الأستاذ المحترم كان يدخل الفصل ومعه جريدة الأهرام أو الأخبار ويقرأ لنا المقالات ويعرفنا بكتابها، فهذا مقال لمصطفى أمين، وهذا لطه حسين، رغم أن أعمارنا لم تتجاوز العاشرة، الأمر الذي شجعنا على شراء الجرائد وكان ثمن الجريدة نصف قرش، فكنت أشتري يومًا بمصروفي اليومي، ويومًا آخر أشتري سندوتش أوحلويات، المدرسة أيضًا أتاحت لي قراءة الكتب، فقد كانت هناك حصتان أسبوعيًا مدتهما ساعتان، يختار فيها كل تلميذ كتابًا يقرأه ؛ في الساعة الأولى تتم القراءة الحرة ، وفي الساعة الثانية يحكي كل تلميذ للآخرين ما استوعبه، ويعلق المدرس على ما قرأه التلاميذ، ومن هنا جاء الحكي، لقد أحببت القصص التاريخية لمحمد فريد أبو حديد، وقصص الأطفال لكامل كيلاني، ثم ظهر للكاتب طريق آخر استطاع أن يوفر له الكتب ويشجعه على ذلك المسار ويلبي نهمته المتعطشة للقراءة، فقد كان في صغره ذا قدرة شرائية محدودة، وكان يلجأ لمكتبة المدرسة والمكتبات العامة أو مكتبة الجامعة، كما كان عم سيد بائع الصحف في منطقة محطة الرمل بالإسكندرية، وكان يستعير منه الكتب

ويقرأها في مقابل مادي بسيط يقل كثيرًا عن ثمن الشراء، فقد كانت هناك كتب زهيدة الثمن مثل سلسلة اقرأ التي كانت تباع بقرش واحد، وكانت هناك كتب غالية الثمن، مثل أعمال (دستويفسكي) التي كانت تباع بـ ٧٥ قرشًا وهومبلغ كبير وقتها! إن التشجيع على القراءة وتقديم الكلمات المحفزة على المطالعة، تؤتي ثمارها إذا وجدت أذنًا مصغية أو أذهانًا ملبية، بل إن بقدرتها لو استجابت لها العقول وتقبلتها العزائم أن توجد الجيل القارئ الذي نطمح إليه وننشده في أبنائنا، ما على المرء فقط إلا أن يهتم بالأمر ولا ينفك يبذر كلمات التشجيع هنا وهناك، علها تصادف أرضًا خصبة فتنموفيها وتؤتي أكلها، كما عليه أن يفكر في ابتكار الوسائل المرغبة كتقديم الجوائز والهدايا ليعرف الصغير أن القراءة طريق يجر عليه السعادة والتفوق والجوائز التي يتوق إليها!

• • •

تم بحمد الله

الفهرست

مقدمة ٧

تعلموا بناء الإنسان ٠١

الفشل طريق النجاح ١٧

لا تقتلوا الأمل ٢٥

التشجيع يصنع المعجزات..... ٣١

عقبات المستحيل..... ١٣

الشحن المستمر ٣٨

التشجيع غير المتعمد ٥٤

المشجع الأعظم ﷺ ٢٥

ما عليك فقط إلا أن تبدأ..... ٥٦

سقاء المعلمين..... ٦٢

تحت سماء لندن ٧٦

انتشلوهم من محنتهم ٧٣

مع أنيس منصور ٨٠

صناع العباقرة ٨٥
أيتها الظروف .. حفزيني ٩٢
اليتيم الذي جالس الملوك ٩٧
أخرجوا كنوزكم الدفينة ١٠٤
آباء مشجعون ١١٠
أمهات مشجعات ١١٩
من الذي بقي يا ولدي؟ ١٢٥
هكذا كان ظني بك ١٣٢
إرادة تتحدى العقبات ١٣٨
المعرفة سر النبوغ ١٥٠

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها الجميع، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة كل كاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الصلاحيات للتعامل مع كتابه، أن ينشره بالطريقة التي تريدها، أن يطبع منه الكمية التي يريدها، أن يوزعه بالأسلوب الذي يريده، أن يُعيد نشره في أية لحظة ومع أيه دار نشر يريد، أن يملك كل الحقوق من الألف إلى الياء لإخراجه بطريقة تحترم القارئ، وأن يقوم بتسعيره وبيعه كما يشاء، دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية، وبدون تكلفة مالية.

دار لوتس للنشر الحر هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد في مجالات الرواية، القصة القصيرة، الفكر والتنمية، الشعر والخواطر، الأدب الساخر، وبعض الكتب التي لا تخضع للتصنيف السابق لكن دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

للانضمام إلينا..

Mob: +2 01091985809 - +2 01272143509
WhatsApp: +2 01091985809
Site: www.Lotusfreepub.com
Mail: Lotusfreepub@gmail.com
F Account: www.facebook.com/lotusfreepub1
F Page: www.facebook.com/lotusfreepub

حاتم سلامة

التشجيع
يصنع المعجزات

فكر

إنها كلمات تقلب الموازين، فتحول الفشل إلى نجاح، والهزيمة إلى نصر، والتأخر إلى تقدم، لو أننا آمنا بها واعتمدناها منهجًا في بناء الأجيال وصنع النابهين، إن عددًا كبيرًا من العباقرة والعظماء والمفكرين والعلماء، يقصون علينا كيف كان لكلمات التشجيع أثرها البالغ وحظها الكبير فيما وصلوا إليه من تفوق وتميز.. ومن ثم كانت هذه الصفحات محاولة على ذات الطريق تحاول أن تلهم قارئها ما يحتويه التحفيز من قوة سحرية تستطيع أن تصنع المعجزات وتفجر المواهب والقدرات.

دار لوتس للنشر الحر
مشروع النشر الحر